

مِنْ كِتابِ الْمُبَشَّرَةِ

مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب العدد 119 صيف 2004 السنة التاسعة والعشرون



الْأَدْبُ الْأَمْرِيْكِيِّ الْإِبْرِيِّ مِنْ أَصْلِ عَرَبِيٍّ

الطباطبائي

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بمشرق

العدد 119 صيف 2004 السنة التاسعة والعشرون

المدير المسؤول

د. علي عقلة عرسان

رئيسة التحرير:

د. بثينة شعبان

أمينة التحرير:

د. ناديا خوست

هيئة التحرير:

□ عدنان جاموس

□ لطيفة ديب

□ فالدحداد

□ رفعت عطفة



مكتبة لسان العرب

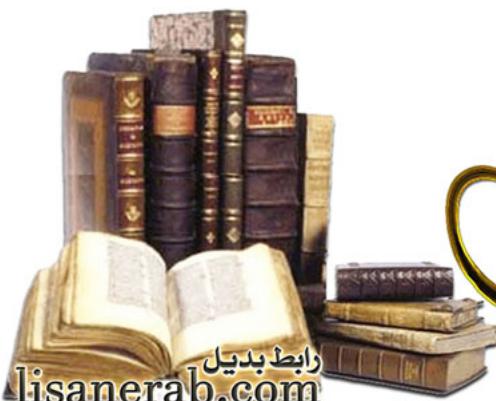
www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابط بديل

مَكْتَبَةُ لِسَانُ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي



رابط بديل
lisanerab.com

www.lisanarb.com

الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العربي بدمشق

الاشتراك السنوي

« الآداب الأجنبية »

داخل قطر 100 ل.س

الاقطار العربية للأفراد 200 ل.س
او 10 دولارات أميركية

خارج الوطن العربي 200 ل.س
او 15 دولاراً أميركياً

الدوائر الرسمية داخل قطر 200
ليرة سورية

الدوائر الرسمية في الوطن العربي
25 ل.س او 2 دولاراً أميركياً

الدوائر الرسمية خارج الوطن

العربي 500 ل.س او 25 دولاراً
أميركياً

اعضاء اتحاد الكتاب 50 ل.س

مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة
أشهر تمني بنشر المواد المترجمة
من الأدب العالمي في مجالات
الشعر والقصة والمسرحية وغيرها
من منظوف الأدب الأبداعي وكذلك
في مجالات النقد والبحث
الأدبي .

* توجه جميع المراسلات باسم
أمانة التحرير .

* المقالات المنشورة في المجلة
لا تمبر بالضرورة عن رأي
المجلة .

* المواد التي تلقاها المجلة
لا ترد لاصحائها سواء نشرت
أم لم تنشر .

دمشق - الزة أوستراد سب. ب: 3230
هاتف: 6117242-6117243-6117240

6117243

البريد الإلكتروني:
Email : unecriv@net.sy
aru@net.sy

الانترنت:
<http://www.awu-dam.org>

المراسلات :

باسم أمانة التحرير

الإدارة

اتحاد الكتاب العربي .

غلاف هذا العدد: «من مائيات وانبيا معصراني»
غلاف العدد الماضي: «من القيشاني التركي، القرن الخامس عشر»

تنويه

تعتذر هيئة تحرير الآداب الأجنبية عن قبول أية مادة غير مرفقة بالأصل الأجنبي؛ كما ترجو الهيئة من السادة المترجمين كتابة اسم المؤلف والمترجم وعنوان المادة والمرجع باللغة الإنجليزية أو اللغة الأصلية التي كتب بها النص.

ونرجو هيئة التحرير أن تكون المادة المترجمة مطبوعة على وجه واحد من الورقة، وأن تثبت المصطلحات الأجنبية في هامش متنقل ملحق بالنص. علماً بأن المادة المقدمة لا تعاد سواء نشرت أم لم تنشر.

ترسل مواد "الآداب الأجنبية" إلى العنوان الآتي حصرأ:
مجلة الآداب الأجنبية اتحاد الكتاب العرب. ص. ب (3230).

دعوة

إلى السادة المترجمين:

تنوي مجلة الآداب الأجنبية نشر ملفات خاصة عن كل من "الآدب الصيني"، و"الآدب الأرمني"، و"الآدب الأندونيسي"، يرجى من الباحثين والمترجمين الراغبين بالمساهمة في الملفات المذكورة إرسال موادهم وترجماتهم إلى المجلة مرفقة بالأصول.

□□

من كراتبيا إلى بونيس آبرس.

• د. بشارة شعبان •

حين نزلت في مدينة ساو باولو في البرازيل للمرة الأولى في حياتي شعرت من وجوه الناس وطبيعة حياتهم أنني أنتقل بين عشرين وخمسين وأنني أصبحت اليوم في مدينتي حمص لأن فقد أحوال الأهل والأحباب وانتابتي غرابة طريفة وقصيرة تساعدت لماذا لا يتحدثون العربية معى لأنني شعرت أنني وصلت مدينتي وأصبحت بين أهلي. ولم أكن أدرك قبل مغادرتى أن البرازيل ستشكل عالماً غنياً من إرث الآباء والأجداد اللغوي والتقافي والحضاري والتاريخي وأنها سوف تقدم لي أنموذجاً فريداً ورائداً عن مساهمة المرأة العربية في بناء الحضارات التي ساهمت في إشادتها في بلدان الاغتراب. ومنذ الأيام الأولى أخذ بعض الأبناء والأحفاد يقدمون لي هدايا من كتب الأدب العربي هي من أمهات الكتب، كتب بلغة سلسة جميلة وبأسلوب فني راقٍ عزّ نظيره هذه الأيام واطلعت بعد ذلك على واقع الأدب العربي المبعثر هنا وهناك بحيث يعجز الأفراد عن إشادة المكتبات الواسعة التي يتحققها هذا الإرث الأدبي العظيم وأخذت الكنائس والمراقد الثقافية تشكوا لي أنها دائمًا تستلم صناديق من الكتب العربية النادرة لا تعرف ماذا تفعل بها وقد ضاق بها المكان وعجزت ميزانياتها عن

تحمّل أعباء نقل هذه الكتب إلى موطنها الأم. من هنا بدأت أفكار بتشكيل لجنة قادرة لتوثيق وجمع التراث الأدبي الاغترابي والذي هو تراث هائل يشكل رافداً ثرياً وأساسياً يكمل أوجه الثروة الحضارية التي شكلت دائماً الجزء الأعزّ من هويتها وتراثها.

وفي الكنائس والمساجد والنواحي تلقى بشباب عرب يرشدون أنفسهم لموقع هام في البلديات والبرلمانات ويتوّقون لتعلم كلمة عربية ويعلنون أن الدم العربي يسري في عروقهم. وكم فوجئت حين زرت المشفى السوري، اللبناني في ساوباولو والذي أسسته نساء سوريات لبنانيات في عام 1922 ولا تزال تقيم على إدارته وتطويره نساء سوريات ولبنانيات وقد أصبح اليوم أهمّ مشفى على الإطلاق في أمريكا الجنوبية برمتها وهو مدرسة طبية وأخلاقية وثقافية يعتمد على مبدأ النطوع والاهتمام بالروح وليس الجسد فقط ليكون بذلك تجسيداً للثقافة العربية والطب العربي الأصيل الذي أهداه العرب للإنسانية.

وفي النواحي السورية واللبنانية تكتشف أبعاد حضارتنا العربية التي سافرت في أصقاع الأرض فأشادت مؤسسات حضارية من مكتبات وملعب وأماكن للتلاق والتلاقي الاجتماعي والثقافي والسياسي فخلقت وحدة في الفكر والقلب بين العرب المقيمين على بعد آلاف الأميال من موطن آبائهم وأجدادهم ليؤسسوا بذلك لإرث ثقافي حضاري يعتبر جزءاً من حضارة البلد ويعطي قبساً جميلاً من حضارة هذه الأمة العربية التي أمسكت بقبضة من نور وأنارت للبشرية، حيثما ذهبت، طريق الهدى والعدل والمساواة. ولا يستطيع المرء إلا أن يعجب بهمة الأجداد الذين ذهبوا ورغم كل الصعوبات فتحوا المدارس

لا لأنائهم فقط وإنما لأناء البلد الذين يقمنون فيه حرضاً على التمازج الثقافي الذي شكل وجهاً أساسياً من أوجه حياتهم في المغترب.

وتغنى شعراً وهم بأهل البلد وجمال أهل البلد تماماً كما تغنووا بالحنين إلى بلدتهم الأم وأسسوا لعلاقات ممتازة مع الشعوب التي انتسبوا إليها بحيث يشعر أبناءهم اليوم بالفخر والاعتزاز أن يحملوا إرث الآباء والأجداد وساماً على صدورهم كي يستمروا في حملة البناء والانفتاح والتعايش الأخوي السليم.

وما تقدمه اليوم مجلة الآداب الأجنبية في هذا العدد ما هو إلا غيض من فيض من أدب يتوق إلى الأيدي الكريمة التي ستجمعه وتدرسه وتقتنه وتضعه في مقامه الصحيح بالنسبة للأدب العربي تارياً، حاضراً ومستقبلاً. وكل ما نرجوه كأسرة تحرير لهذه المجلة هو أن نشير شهيدة القارئ كي يبحث في المكامن الثرة الغنية للأدب العربي والكتاب المتحدرين من أصل عربي في تلك القارة البعيدة جغرافياً والقريبة من قلوب ملابس العرب لأسباب ثقافية وروحية واجتماعية وأدبية.

حين هاجر أجدادنا كانوا يهاجرون إلى المجهول ويمضون أشهرأ صعبه في البحر غير متأكدين أن الفحص الذي ينتظرون على حافة الشاطئ سوف يعلن سلامتهم ويسمح لهم بالدخول أم أنه سيعيدهم من حيث أتوا بعد أن دفعوا الغالي والرخيص ثمناً لهذه الرحلة التي استبشروا بها خيراً. أما اليوم فلا تكلف أياً منا سوى أيام قليلة ليصل إلى ذلك المجال الخصب من الوسائل الثقافية والأخلاقية والدينية والسياسية وليس ثمّر به لما فيه خير الشعوب والبلدين. إن أدب العرب

في المهجرين أو أدب المتحدرين من أصل عربي هو مجال رحب لدارسي الأدب اليوم وهو مجال لا تكتمل هوية الأمة الثقافية إلا بعد استكماله ولذا نأمل أن يلعب العرب المقيمون هنا والمنتشرون في الخارج دوراً أساسياً في إحياء و توثيق هذا الملف الغني والهام والواعد.

والله ولي التوفيق



الأدب الأمريكي الإبريري من أصل عربي

■ ترجمة: فتحت عطفة ■

شكلت القارة الأمريكية منذ أواسط القرن التاسع عشر محطةً أنظار بعض العرب، الطامحين إلى الحرية والثروة، المتنطعين إلى حياة أفضل و مختلفةً عما هي في المشرق العربي، الذي كان يسوده الفقرُ والجهل، وشكلَ المتنزرون من هؤلاء المهاجرين في المغتربات الأمريكية روابط ساهموا من خلالها في إبداع أدب جديد، أساسه الحنين إلى الأهل، والضياعة والمدينة والوطن الأصلي، وبرزت بينهم أسماء لاقت صداقها الكبير على طرفي العالم، هناك في أمريكا حيث صوت الحنين والذكريات مسموع ومطلوب من المهاجرين أنفسهم وهنا شرقى المتوسط حيث التوق لسماع صوت الغائبين والحزن على غيابهم، الذي قد لا يكون هناك عودة منه. هذا الأدب الذي قرأناه هنا وحفظنا الكثير من أشعاره وخاصة إيلينا أبي ماض و الشاعر القرولي، انتهى مع الجيل الثاني وفي حدوده القصوى مع الجيل الثالث، الذي راحت لغته العربية تقصر على بعض المفردات التي بقيت تستعمل في المنزل وبين المغتربين ولا تتجاوز ما يشير منها إلى بعض الأطباقي أو ما يتعلق منها ببعض آيات القرآن الكريم بالنسبة لل المسلمين منهم، وصار أبناء الجيل الثاني والثالث الذين نشأوا وترعرعوا في بيته تلك البلاد، يقرؤون ويكتبون باللغة الأصلية للبلد الذي هاجروا إليه وهي دائماً الإنكليزية والأسبانية والبرتغالية. وحدث انقطاع كبير بين الوطن الأم والوطن الجديد، وما عاد الحنين مباشرةً، لقد صار منقولاً ومسموعاً من الآباء أو الأجداد، والأدب الذي أنتجه هؤلاء الأبناء، لم يلق العناية الضرورية التي تجمع بين هؤلاء المغتربين وترتبطهم بأوطانهم وأوطان أجدادهم، التي أشرنا إليها، كالرابطة الكلمية والعصبة الأندرسية ورابطة مينوفا

والرابطة الأدبية وجامعة القلم، والتي كان من آخر تجلياتها في آراب، التي اقتصر عملها على المؤتمرات والبيانات، التي تعبر عن تضامن هذه الجاليات مع القضايا العربية دون أن يرقى عملها حتى الآن، إلى مستوى التأثير على القرار السياسي في بلدانهم تجاه قضيائنا العادلة، ذلك لأنَّ أولَ ما فعله الرئيس الأرجنتيني المت HDR من أصل سوري، كارلوس، منعم بعد نجاحه في الانتخابات وتسلمه لمنصبه هو أنَّه زار إسرائيل دون وطنه الأم سورية.

وإذا كان أدباء المهجـر الأوائل، الذين كتبوا بالعربية، قد توجـهوا في غالبيتهم إلى الشـعر بنوعـيه المنظـوم والمـنثـور، فـذلك لـقدرة هـذا الجنس عـلى التـعبـير عـما يـجـول فـي النـفـس البـشـرـية مـن مشـاعـر، فأـبـدـعـوا فـيـهما؛ مـثـل جـورـج صـيدـحـ وـإـيلـيا أبو مـاضـيـ وـالـشـاعـر القـروـي جـبرـان خـليل جـبرـان وـمـيخـائيل نـعـيمـةـ بـينـما لم تـلقـ القـصـةـ وـالـرـوـاـيـةـ وـالـمـسـرـحـ إـلا اـهـتـمـامـ الـقـلـيلـينـ، وـلـم يـبـرـزـ مـنـهـمـ إـلا عـبدـ المـسـيـحـ حـدـادـ وـجـبرـانـ خـليلـ جـبرـانـ وـمـيخـائيلـ نـعـيمـةـ وـجـورـجـ حـسـونـ الـمـعـلـوـفـ وـأـنـطـوـنـ شـكـورـ. وـهـذـاـ مـبـرـرـ، لـأنـ القـصـةـ وـالـرـوـاـيـةـ تـحـتـاجـ إـلـى عـالـمـ مـعـاشـ وـلـغـةـ عـلـىـ قـدـ هـذـاـ عـالـمـ، وـهـوـ مـاـ لـمـ يـكـنـ، حـسـبـ رـأـيـ، مـتـوفـرـاـ كـثـيرـاـ لـدىـ غـالـبـيـةـ مـنـ كـتـبـ مـنـ هـؤـلـاءـ.

وـمـنـ الـمـؤـسـفـ أـنـنـاـ نـجـيـلـ عـلـىـ هـذـاـ طـرـفـ مـنـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ الـكـثـيرـ مـمـاـ أـبـدـعـهـ وـيـبـدـعـهـ أـبـنـاءـ جـالـيـاتـاـ بـالـلـغـةـ الـأـسـبـانـيـةـ وـالـبـرـتـغـالـيـةـ فـيـ الرـوـاـيـةـ وـالـقـصـةـ وـالـشـعـرـ وـالـفـكـرـ، وـذـكـ لـأـنـنـاـ لـمـ نـتـمـكـنـ مـنـ خـلـقـ رـوـابـطـ أـكـثـرـ عـمـقاـ، تـبـقـيـنـاـ عـلـىـ تـوـاصـلـ حـقـيـقـيـ مـعـيـمـ. فـقـدـ اـقـتـصـرـ عـلـاقـاتـاـ مـعـهـمـ عـلـىـ عـلـاقـاتـاـ أـشـبـهـ مـاـ تـكـونـ بـالـسـيـاسـيـةـ تـظـهـرـ تـجـلـيـاتـاـ التـضـامـنـ الـلـفـظـيـ وـنـشـرـ الـبـيـانـاتـ فـيـ هـذـهـ الـمـنـاسـبـةـ أوـ تـكـ. كـانـ عـلـىـنـاـ أـنـ تـنشـئـ كـلـيـاتـ للـلـغـاتـ وـالـآـدـابـ، وـنـخـلـقـ أـطـرـاـ مـتـخـصـصـةـ بـهـاـ وـبـالـعـوـالـمـ الـتـيـ أـصـبـحـ يـنـتـمـيـ إـلـيـهـاـ هـؤـلـاءـ الـمـتـحـدـرـوـنـ مـنـ أـصـلـ عـرـبـيـ، أـنـ نـخـلـقـ جـامـعـاتـ مـشـترـكـةـ، تـؤـسـسـ لـعـلـاقـاتـ ثـابـتـةـ وـوـثـيقـةـ لـيـسـ مـعـ هـؤـلـاءـ وـحـسـبـ بلـ وـمـعـ بـلـادـهـمـ أـيـضاـ.

لـكـ شـعـرـنـاـ بـالـحـزـنـ حـينـ قـرـرـنـاـ أـنـ نـصـدـرـ عـدـدـ جـديـداـ خـاصـاـ بـالـأـدـبـ الـأـمـرـيـكيـ الـلـاتـيـنيـ مـنـ أـصـلـ عـرـبـيـ وـلـمـ نـسـتـطـعـ الـحـصـولـ عـلـىـ الـحـدـ الـأـدـنـىـ مـنـ الـمـوـادـ الـتـيـ يـمـكـنـ أـنـ تـجـعـلـ الـعـدـدـ أـكـثـرـ غـنـيـ وـيـعـطـيـ فـكـرـةـ أـوـسـعـ عـنـ هـذـاـ الـأـدـبـ. كـلـنـاـ أـمـلـ أـنـ نـسـتـطـعـ أـنـ نـخـلـقـ مـؤـسـسـاتـ تـقـافـيـةـ وـاجـتمـاعـيـةـ وـأـنـ نـسـتـطـعـ أـنـ نـكـونـ مـكـتبـةـ أـوـ مـكـتبـاتـ تـضـمـ كـلـ مـاـ يـمـكـنـ الـحـصـولـ عـلـيـهـ مـنـ إـنـتـاجـ أـبـنـائـنـاـ فـيـ الـقـارـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ.

□□□

الهولوكوست الآخر

للساعرة التشيلية

نور صالح أبو خنجر

■ ترجمة: هدى فعند عطافة ■

عن الإسبانية

مقدمة

على الطرف الآخر من العالم، لنا أبناء وأخوة يحملون مشاعرنا ويتآلمون لآلامنا، يكتبون بنبض الروح عذابات الفلسطيني وعذابات العرب. من هؤلاء شاعرة تشيلية شابة من أصل عربي، إنها نور صالح أبو خنجر التي تغوص في أعماق الألم الفلسطيني.

بدأت حياتها بكتابة القصص والقصائد حين شعرت أن روحها البريئة قد لامسها ظلم وجبروت قلة قليلة من البشر تظن أنها تملك الحق باسم ربها. إنها تكتب الطفل الفلسطيني الذي انتزع من براءته ليواجه عالماً بلا آمال.

هذه البراءة التي تنزف يوماً بيوم على أرض فلسطين قبل أن تعرف فك حروف الأبجدية وقبل أن تعرف اللعب وتتعلم بحب الشباب الأول. إنهم أبناء فلسطين، ضحية المحرقة التي يرتكبها اليهود الصهاينة بحق الفلسطينيين.

فنور صالح التي تكتب نبضها - نبضنا وللقارئ الغربي نقدم أشعارها من ديوانها الذي يحمل عنوان الهولوكوست الآخر.

فاطمة وأنا

ماتت فاطمة.

عيناها السوداوان، الكبرتان مغمضتان الآن
وأهدابها

الطويلة توحى بأنها ستفتحهما
بين لحظة وأخرى.

شعرها كان سابلأ، ناعماً، ويساقط مثل مدّ
أسود غزير على كتفيها.

بشرتها المذهبة بالشمس، تعكس سنواتها الخمس عشرة،
لكن يديها بدتا لامرأة متقدمة في السن،
لأن العمل شوههما وشققهما.

جسدها كان فوق السرير، بالوضعية ذاتها
التي ماتت عليها منذ ساعة عندما
اخترقت قذيفة إسرائيلية بحقد ملعون،
محطمّة زجاج الغرفة، كي
تقيم في بطنهما وتُطفئ حياتها.

لم يكدا والادها وأخونها يشعرون
بالانفجار حتى هرعوا إلى غرفة فاطمة،
ووجدوها مستحمة بالدم.

أمها، وهي امرأة شابة، ذات وجه
حدده الضيق، ركعت بجانب

سريرها وعانقت بكل ما أُوتِيت من قوَّةَ
جسد ابنتها، وبلالته
بدموعها.

صرخ الأب وسقط على ركبتيه، وغطى
وجهه بيديه، بينما أخوة فاطمة،
الصغرى جداً، والرجال في آنٍ معاً،
بكوا بنسيج لا نهاية له،
عندما فتحت فاطمة عينيها ذُعرت،
لم تكن في سريرها كما اعتَقدت ونظرَ للغيوم
التي أحاطت بها أدركت أنها في السماء وأنَّ القذيفة التي شعرت بها لم
تكن
كابوساً من الكوابيس الكثيرة التي كانت تعذبها،
بل كانت حقيقة.

السماء مكانٌ غريبٌ جداً – فكرت فاطمة
ما إن استعادت نفسها قليلاً من الخوف –
كل ما شاهدته كان كومةً من
الغيوم القطنية، في كل الجهات. تفحصت
قدميها ولم تلحظ شيئاً غريباً، تحسست ظهرها
ولم تكن هناك أجححة كما يفترض أن يكون للملائكة.
حاولت فاطمة أن تنظر إلى الأسفل، حيث
فوق غيمة وقفَت عليها ولم تر إلا مزيداً من الغيوم.

وسط ذلك "العدم"، ذلك المكان الغامض ومجرد
معرفتها بأنّها ميّة، منحها رغبة
ملحة بروئية أمّها، أبّها
وأخوتها؛ كان بودّها أن تخبرهم أنّها بخير،
أن لا يتذمّروا،... وأنّها تحبّهم كثيراً...
فجأةً، ومن غيمة مكتزّةً، خرج طفلٌ
مجّنحَ صغير، نظر إليها بحنان.
"مرحباً يا فاطمة، أهلاً بك في السماء!"
قال الطفل.

لم تُجب فاطمة، كانت خائفة من الواقع الذي سيكون
لصوتها في ذلك المكان.

الطفل، مثله مثل غالبية الملائكة، كان يعرف
قراءة الأفكار، قال لها:

"أي! صوتك هنا ما زال هو نفسه،
لا تكوني جبانة — وأضاف — أنا ملاك الحراس
وكنت معك دائمًا".

نظرت فاطمة إليه بثبات، وبصعوبة استطاعت
أن تقول له: "مرحباً".

"عظيم — قال الملاك — الآن يجب أن
آخذك إلى مكان آخر".

لم تستطع فاطمة أن تشيح بنظرها عن ذلك الطفل

الذي قال إنه ملاكها الحارس، كانت الطفلة
مشوشة، لم تخيل أبداً أن السماء
وملاكها الحارس هكذا؛ في أعماقها
كانت خائبة، لأنها تصوّرت أنها ستنطبع
أن ترى من السماء كل بيوت العالم
وتعرف ماذا يفعل كل شخص. كما تصوّرت
أنه سيكون لها أجنحة كبيرة تحملها
بسرعة كبيرة عبر الغيوم، وإذا
أضفنا إلى ذلك أن ملاكها الحارس كان طوله أقل
من متراً، لن يصعب علينا أن نتفهم خيبتها.
"اعطني ذلك" — قال الطفل — ولا تقلقي،
فأنت لم ترِ الجنة حتى الآن، إنها حقاً
مكان جميل".

ابتسمت فاطمة وخافت قليلاً
من أن تفكّر بشيء آخر، لأن ملاكها سيعرفه.
وهكذا أمسكت الشابة بيد الملك، الذي
كانت بشرته أنعم من الحرير، ومعاً ارتفعا
سريعاً إلى السماء، التي كانت في كل مرة أكثر زرقةً
وغيوماً.

"حاضر، نحن في المنزل" — قال الطفل.

نظرت فاطمة من بابه وشاهدت لوحة غيوم مائية

حقيقية ،

كل غيمة لها لون مختلف. كل شيء كان
رائعاً فعلاً، كان هناك أيضاً
عدد لا متناه من الملائكة من كل الأعراق والأحجام،
يمضون راكضين باندفاع يتبادلون الكلام.
"عزيزتي فاطمة، الآن ونحن هنا،
سأشرح لك ما يتوجب عليك فعله كي تصيري
ملاكاً".

"هل سأتمكن من رؤية عائلتي من جديد
إذا ما صرت ملاكاً؟" — سالت فاطمة.
طبعاً، سنتتمكنين من أن تفعلي هذا وأكثر، لكنني وبمراجعة كتاب
أعمالك،
لاحظت أنتي
لا أستطيع اصطحابك إلى حيث سان بdro، كي
يمنحك لقب الملك، أجدهـك ومهامـك".

اتسعت عينا فاطمة بفزع، وشعرت
بحزن كبير، هل كانت حقاً شقـة،
وأنهم لن يمنحوها بسبب ذلك لقب الملك،
بدا هذا لها غير عادل.

قال الملك: "ليس لأنك كنت شقـة،
يا صديقـي".

ابتسمت فاطمة. "ماذا ينقصني إذا؟"
ينقصك أن تُوضّحي شكوكك، فنفل الشكوك لديك
يعرقل طيران الملائكة"
— وأضاف الملاك بجدية أكثر — "هل من أحد تریدین
التحدث إلیه؟، شخص لم تستطعي
أبداً التحدث معه وتریدین ذلك؟"
فكّرت فاطمة بالأمر، فكرت به لعدة دقائق
وقالت بعدها: "نعم، يا ملاكي الصغير، أريد التحدث مع
آنا فرانك"
نظر إليها الملاك مندهشاً. على الرغم من قدرته
العقلية، ما كان ليتخيل رد
الشابة.
"انظري، يا فاطمة، عندما تمضين
بعض الوقت تتعلم الملائكة طريقة للتواصل العقلي.
وأنت ستتعلمنها عندما يمر عليك سنون كثيرة من التدريب.
آنا ملاك منذ زمن طويل، هي
تستطيع أن تفهمك، لكنها لن تجيبك،
على الأقل بلغتك".
"لا يهمني، خذني إلیها" — طلبت فاطمة
بتواضع.
وهكذا كانا وكأن الشابة والملاك

مضيا إلى مكان آخر من السماء الواسعة. عندما وصلت حيث
 كانت الشابة جالسة فوق غيمة زرقاء، اخترقى
 الملك الحارس، تاركاً فاطمة وحيدة
 مع تلك الشابة الأخرى التي نظرت إليها بإمعان.
 كان لـ أنا فرانك عينان سوداوان أيضاً، أنفٌ
 ظريف وشعر متوجّج. كانت الغيوم الزرقاء هي المفضلة
 بالنسبة لها ولم تكن تنتظر زيارة لهذا المساء، ما جعلها
 تندesh لرؤيه تلك الفتاة، ذات النظرة
 الكثيبة واللامح العربية. وقفـت فاطمة أمام أنا، وقدمـت نفسها دون أن
 تتردد
 لحظة واحدة:
 "مرحباً، اسمـي فاطمة، لقد متـ منذ
 ساعات قليلـة، لا أدرـيكم ساعة بالتحديد...
 جـئت لأنـي أحتاجـ أنـ أصير مـلكـاً
 كـي أـعـتـي بـمن أـحـبـهمـ، وبـما أـنـ عـنـديـ الـكـثـيرـ
 مـنـ الأـشـيـاءـ الـتـيـ تـقـلـقـنـيـ، فـلنـ يـمـنـحـونـيـ الـأـجـنـحةـ
 حـتـىـ أحـلـهاـ".
 أـعـلـمـ أـنـكـ لمـ تـسـطـعـيـ أـنـ تـجـبـيـ - تـابـعـتـ
 فـاطـمـةـ - لـكـنـيـ أـرـيدـ أـنـ أـحـكـيـ لـكـ بـعـضـ الـأـشـيـاءـ فـقـطـ،
 لـيـسـ بـنـيـ أـنـ أـزـعـجـكـ أـوـ أـنـ أـجـعـلـكـ تـسـائـلـيـ، فـقـطـ
 أـحـتـاجـ أـنـ تـكـلـمـ مـعـ يـهـودـيـ!ـ، سـتـعـلـمـيـنـ لـمـاـذـاـ

الآن، ونظرًا لندرة اليهود في السماء
هذه الأيام...، فكرت بك لأننا بطريقه أو أخرى
تشابه وبما أنتي قرأت مذكراتك، شعرت
بأنني أعرفك".

ابتسمت أنا، منذ مدة لم تسمع أحداً
و تلك الشابة بدت لطيفة.

"أنا من بلدة مبادة، أتعلمين؟، إنهم ينتزعون أرضنا هنا،
يهدمون منازلنا، يقتلون
رجالنا، ونساعنا وأطفالنا بدون رحمة؛
يميزوننا ويعاملوننا كالزباله..."

نهدت فاطمة عندما قالت هذه الجملة الأخيرة.

"دبابات وجندو في كل مكان، لا
نستطيع السير بحرية والماء، الضروري جداً،
هو بالنسبة إلينا، ترف، شيء غالٍ، بل فوق ذلك غير نظيف.
فقد أجدادي كل شيء، كان عندهم حقل
انتزعه اليهود مدمرین المحصول كلّه،
قوتهم الوحيدة. أعطونا بدلاً عن تلك
الأراضي الخصبة، قطعة أرض
وعرة وقاحلة وبما أنّ مجري الأنهار
حرفت لتغطي حاجة المستوطنات،
أقسم لك،

يا آنا، أَنَّهُ كَانَ مَعْجِزَةً مِنَ اللهِ
أَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَزْرِعَ شَيْئاً. أَتَرِينَ يَدِيَّ؟،
الْمُسِيَّهُما..."

فَرَبَّتْ آنا يَدِيهَا وَتَحْسَسَتْ كَمْ كَانَتْ
يَدَا فَاطِمَةَ مَجْرَحَتَيْنِ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهَا حَزِينَةً.
"صَارَتَا هَكَذَا مِنْ خَدْشِ الْأَرْضِ – أَجَابَتْ
الشَّابَةَ – وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ نَجَمَ فِيهِ الْمَحْصُولُ، كَانَ يَظْهَرُ
جَنُودٌ شَبَانٌ لَيْسُوا أَكْبَرَ مِنْكَ وَمِنِي سَنَانِ
وَيَقْتَلُونَ مَحْصُولَ الذَّرَّةِ.

لَا تَعْرِفِينَ كَمْ كَانَ يَعْانِي وَالَّذِي...
أُمِي ذَكِيَّةً وَكَانَتْ تَصْنَعُ لَنَا الْخَبَزَ، لَا أَعْلَمُ
مَمَّ، وَتَبَسَّمَ قَاتِلَةً بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيِّزَوْلَ، لَكَنِّي أَظَنَّ، يَا آنا
أَنَّهَا فِي أَعْمَاقِهَا، هِيَ نَفْسُهَا فَقَدَتْ
الْأَمْلَ. وَالآنَ وَآنا لَسْتُ مَعْهُمْ، لَا
أَرِيدُ أَنْ أَفْكُرَ كَمْ يَعْانُونَ".

وَعِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ اغْرُورَقَتْ عَيْنَا فَاطِمَةَ،
لَكِنَّهَا تَسْلَحَتْ بِالْقُوَّةِ وَتَابَعَتْ:
"عَنْدِي أَخْوَانٌ تَوَامَانِ، إِنَّهُمَا طَفَلَانِ
فِي الْخَامِسَةِ مِنْ عُمْرِهِمَا، لَا تَتَصَوَّرِي كَمْ هُمَا ظَرِيفَانِ
لَكِنْ لَهُمَا نَظَرَةُ عِجُوزِ. فِي الْمَسَاءِ عِنْدَمَا كُنْتُ أَرَى الْفَتِيَّةَ يَرْشَقُونَ

دبابات الجنود بالحجارة ثم
أرى أولئك الجنود يطلقون النار أو يضربون
الفتيا بلا رحمة، حتى يتركوهم مرميين
ينزفون، كنت أخاف على أخي أن
يكبراً، لن أتحمل أن يرفع أحد يده عليهما.
أتعلمين؟ كل مرة كنت أرى فيها هؤلاء الفتية
مضروبين،أشعر كما لو أنهم يضربونني
أنا، لأنهم في الأعماق، دمي وأخوتي،
من أمهات أخرىات نعم، لكنهم كبروا
في العجز والبؤس ذاته الذي كبرت فيه".
كانت عيناً أنا قد بللتا بالدموع منذ برهة، وجرت
دمعة على خديها البيضاوين.
"لا تبكي يا أنا، فقط أصغي إلي" – طلبت
منها فاطمة.

"اذكر أنك أنت أيضاً عانيتِ، عشت في
ملحق، محجوبة عن الشمس والأزهار
متحملةً أولئك الكبار الذين لم يفهموك قط.
ومدركةً ما يعانيه رفاشك بسبب
النازريين.

أنا لم أستطع أن أختبئ. عشت حياتي كلها
في سجنٍ كبيرٍ، محاطة بالجنود وبالدبابات والكراهية،

لم يحك لي أحد ما جرى،
عشته بنفسي.

أتعلمين ما يؤلمني؟ يؤلمني أن أعرف
أن الصهاينة يستخدمون اسم الهولوكوست الذي
عانيت أنت ورفاقك منه، كي يحجبوا عن العالم
أنهم النازيون الجدد. كما لو
أنهم يذكرون الناس كل برهة كم عانى
أبناء اليهود ليُبرّروا الجرائم التي يرتكبونها
ضد أهلي.

مذكراتك والكثير الكثير من الأفلام تستخدم
وسيلة للتسويق، لتوسيط إحساس العالم.
لكن من يأبه بما يفعلونه هم بأبناء شعبي؟
أين هي الأمم التي ملأت فاها
بحقوق الإنسان؟ إنهم يتظاهرون بالصمم،
لا مبالون.

وأكثر من ذلك، يا أنا، يعاملوننا، كما لو أن هذا لا يكفي،
كإهابيين، لمجرد أننا ندافع عن
ما هو لنا؛ عن الحرية، الحياة والأرض.
ويؤلمني أيضاً، لا تسيئي فهمي من فضلك، أنهم يذكرونك،
أن موتك يذكر دائماً وأن موت الكثير من الفتىان
الفلسطينيين، وأنا بينهم، لا يهم أحداً،

يزيد فقط رقماً، عدداً في إحصاء
القتلى.

هذا كل ما أريد قوله، لم أستطع أن أقول هذا
لأحد آخر، ففي بلدي، لا يمكن
أن ترفعي صوتك كي تطالبني بالعدالة، يُسكتونك
بالرصاص. بالرغم من أنه يبدو سخرية، لكنني لم أكُن
أقول شيئاً وقتلوني".

عندما انتهت فاطمة من كلامها، عانقت
آنا فرانك، وفجأة سقط نور قوي جداً
على فاطمة، وخرج من ظهرها جناحان
جميلان، ناصعاً البياض وصارت يداها
حريراً، بينما راح هذا النور ذاته يحملها
إلى مكان آخر من السماء، حيث من المحتمل
أن يسلموها مهمنها.

بينما كان شارون جالساً في مكتبه، شاهد
أحد كتبه يقذف سائلاً أحمر.

استاء، ونادى خدمه، مؤنباً
لأنهم لم ينظفوا الرف. أخرج الخدم
كل الكتب ولاحظوا أن كتاباً بعنوان
"مذكرات آنا فرانك"، هو
الذي لا يكف عن قذف ذلك السائل الأحمر، الشبيه بالدم،

كانت تعبيراً عن أن أحد ملائكة السماء
يبلغ أنه مسناً، لكن بالطبع، شارون
لم يفهم ذلك.

إرهابية

عمرِي ثمانون عاماً ولم أر غب قط
أن أحكى عن حياتي، ربما لأنهم يعلموننا منذ
الصغر فضيلة التحفظ.

لكنني عازمة على أن أروي قصتي، لأنها
تشبه كثيراً قصة الناس في وطني،
أولئك الذين

ما عادوا يستطيعون أن يحكوا قصتهم.
ستتساءلون لماذا، وأنا في هذا العمر أبدأ
الكتابة، حسناً، ليس عندي أحفاد أقبلهم،
أعيش في هذا المأوى منذ أعواام ورفقتي
الوحيدة هي وحدتي وذكرياتي.

قربياً ستحدين الساعة التي سألتني
فيها مع من أحبهم كثيراً، عندي أمل
أنه عندما ستدخل الممرضة غرفتي لتعغمض
عيّني، ستجد هذا الدفتر وستقرؤه، أو سيقرؤه

آخر، لا يهم من يكون، لكن ما أر غب به هو
أن يعرف أحد ما، فصتّي:

ما زلت أذكر ذلك اليوم. أي امرأة تستطيع أن تنسى
الـيـوم الـذـي ولـدـ فيـه اـبـنـها؟
كرمي الله يا جبرائيل، أخفض
سرعـتك" – صرخت بزوجي بـيـأسـ
بينما كان يـقـلـني إـلـى المشـفـي فيـ ذـلـك الصـبـاح منـ
شـرـينـ الثـانـيـ.

عـجـباـ، يا اـمـرـأـةـ، أـنـتـ تـصـرـخـيدـ
منـ أـلـمـ المـخـاضـ وـنـطـلـبـيـنـ أـنـ أـفـودـ بـتـمـهـلـ".

"إن ضغطـتـ عـلـى الكـوـابـحـ بـهـذـا الشـكـلـ مـرـةـ أـخـرىـ، سـيـوـلدـ الطـفـلـ
ويـخـرـجـ مـقـدـوـفـاـ مـنـ زـجاجـ السـيـارـةـ".

كـانـتـ وـلـادـةـ صـعـبـةـ، لـكـنـهاـ اـسـتـحـقـتـ العـنـاءـ؛ فـالـطـفـلـ،
كـانـ سـلـيـمـاـ، جـمـيـلاـ، وـالـأـهـمـ مـنـ ذـلـكـ، أـنـهـ
طـفـلـنـاـ.

قرـرتـ أـنـاـ وـجـبـرـائـيلـ أـنـ نـسـمـيـهـ فـؤـادـ، بـعـدـ
نقـاشـاتـ شـبـيـهـ بـتـلـكـ التـيـ دـارـتـ بـيـنـناـ
وـنـحنـ فـيـ الطـرـيقـ إـلـىـ المـشـفـيـ.

كـنـاـ نـعـيشـ فـيـ مـنـزـلـ صـغـيرـ فـيـ بـيـتـ جـالـاـ،

لم يكن لدينا أشياء كثيرة {لا أحد يستطيع أن يملكها
وهو تحت نير اليهودي}، لكننا كنا سعداء.

نشكر الله كل يوم
على قدرتنا على أن يُحبَّ بعضنا بعضاً. هذا ما
لا يستطيع اليهود ولا دباباتهم أن ينتزعا منا.
في ذلك الوقت شعرت أنني امرأة قوية، ظننت
أنني الأقوى في العالم لأنّي عندي جبريل
وفؤاد معي. لكن عندما احتفلنا بعيد الميلاد
الخامس لابتنا، كل

شيء تغير:

"شادية، ماذا نستطيع أن نهدى فؤاد؟"

"ينقصه زوجان من الأحذية".

"إذا سأذهب إلى القدس الآن حالاً".

"حسناً" أجبت، بينما كنت أعد طعام
ذلك اليوم.

زوجي لم يصل على الغداء. منزعجة اتصلت
بأصدقائه واحداً وأحداً، لأعلم إن كان أحدهم
قد رآه،

لكن لا أحد كان يعلم شيئاً عنه.

فكرت: ربما كان عنده مشكلة،

وحاولت أن أهدئ نفسي، لكن الساعات راحت

تمضي.

عند الثامنة مساءً قرعوا بابي. كان جاراً.
لن أنسى تعبير وجهه أبداً حين
قال لي:

"شادية، نحن آسفون جداً، لكن قامت
مظاهره فلسطينية في القدس، ثم جاء
الجنود اليهود ليفرقوا المتظاهرين،
فتحوا النار على كل من كان أمامهم. قتلوا
جبرائيل" -

أنهى كلامه باكياً.

نظرت إليه ذاهلة، لا يمكن أن يكون صحيحاً، لا.
لابد أنه أخطأ. همست
ببساطة، بصوت لا يكاد يُسمع:
"هو لم يذهب إلى أية مظاهرة، لقد
أخطأ..."

وبينما انتهيت من قول هذه العبارة، أحضر
أهل البلدة جثة جبرائيل إلى منزلي.
عندها فقط، أحسست كأن سيفاً
طعنني، ليس مرة واحدة وحسب، بل ألف
مرة.

شعرت بدموعي تجري مثل قطرات دم

تَمْتَرِج بَدْم زَوْجِي. أَخْذَت يَدَه بَيْن يَدَيَّ،
 تَلَك الْيَدُ الَّتِي كَانَتْ
 مَلَازِي وَسْلُوَايِ، تَلَك الْيَدُ
 الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ ابْنَاهَا وَتَأْتِي بِالْخَبَز إِلَى الْبَيْتِ،
 تَلَك الْيَدُ الَّتِي هِيَ الْآن بَارِدَة، بَعِيدَة. أَخْذَتْ
 الْحَطَّةَ الْمَلْطَخَةَ بَدْمَ الْعَنْقِ وَخَبَائِثُهَا.
 كَأَعْظَمْ كَنْزٍ فِي الْعَالَمِ. سَتَكُونُ
 يَوْمًا مَا هَدِيَّةً لِأَحَدْ أَعْيَادِ مِيلَادِ ابْنِي؛ هَذِهِ
 الْحَطَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَعْكِسُ حَضُورَ أَبِيهِ،
 وَطُبِّعَ عَلَيْهَا اسْمُ فَلَسْطِينِ.
 لَمْ أُسْتَطِعْ تَفَادِي أَنْ يَرَى فَؤَادُ أَبَاهُ هَذِهِ،
 أَطْلَقَ صَرْخَةً فَحَسْبُ، وَتَعْلَقَ بِرَكْبَتِيَّ
 بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعَتْهُ يَدَاهُ الصَّغِيرَتَانِ مِنْ قَوَّةٍ.
 بَقِيَنا هَذِهِ، مَتَعَانِقِينَ بِرَهْةٍ طَوِيلَةٍ.
 فَؤَادٌ لَمْ يُسْلِبُوهُ وَالدَّهُ فَحَسْبُ، بَلْ سُلِبُوهُ أَيْضًا
 الطَّفُولَةُ كُلُّهَا. بَدَا يَصِيرُ رَاشِدًا — طَفَلًا،
 كَغَالِبَيَّ الْأَطْفَالِ الْفَلَسْطِينِيِّينِ، الَّذِينَ مَا إِنْ يَفْتَحُوا
 عَيْنَهُمْ عَلَى الْعَالَمِ، حَتَّى يَفْتَحُوهُا عَلَى الْآلَمِ،
 عَلَى الذَّلِّ
 وَعَلَى الْمَوْتِ، وَتَلَكَ الْعَيْنَ الْكَبِيرَةُ ذَاتَهَا، الْمُضِيَّةُ،
 بِأَهْدَابِهَا الصُّوِيلَةُ،

سرعان ما يغمضها اليهود.
في عيد ميلاد فؤاد، سلمته
حطة أبيه. لم أكن أخرجها من الدرج
أو أذكرها منذ ذلك اليوم، منذ عشر سنين.
نظر ولدي إلى وقال:
"أنتين أنَّ الملا سيسكن يوماً ما؟"
"أنتين، يا أمي،
أن فلسطين ستكون حرّة؟".
أقسم لك بحياتي أنها ستكون هكذا. ربما
لن أشهد أنا استقلالنا، لكنني آمل أن تشهد
أنتَ
ورفاقك يوماً ما". — أجبته. عانقني
ولدي، ولم يعاني هذه المرة ركبتي، بل أسد رأسه
إلى قلبي.
اليهود لم يفهمُ أنَّهم دمروا
حياتنا، كان عليهم أن يقضوا علينا،
أن يدوسوا أرواحنا حتى يسلبوها
آخر قطرة من الفرح {إن كان هناك شيء منه}،
لم يكن يفهمُ أنَّهم يهدمون منازلنا، ويدمرون
حقولنا {كما يفعلون
في هذه اللحظة ذاتها، بينما أنا أكتب هذا}.
■

وذات صباح قتلوا مبرر وجودي الوحيد،
قتلوا فؤاد وقتلوا كل قوتي، قتلوا معه كل
أملـي بالجنس البشري.

توسلت الله ليالي أن يأخذني
أنا أيضاً. في كل مرة كنت أرى فيها جندية يهودياً،
أتولـسـ إلىـهـ

أن يطلق النار علىـ، أظنـ أنـهمـ لمـ
يفعلـواـ ذلكـ لأـجلـ أنـ تـحضرـ روـحـيـ بـطـءـ.
فـكـرـتـ لـسـنـينـ أـنـهـمـ تـركـونـيـ أـعـيشـ فـقـطـ
كـيـ يـنـغـذـواـ عـلـىـ أـلـمـيـ وـجـراـحـيـ،ـ أـحـسـتـ
أـنـهـمـ يـلـتـهـمـونـنـيـ قـلـيلـاـ قـلـيلـاـ،ـ وـقـطـعـةـ فـقـطــ.
وـصـلـتـ إـلـىـ أـمـرـيـكاـ هـارـبـةـ مـنـ ذـكـرـيـاتـيـ.
عـمـلـتـ سـنـينـ فـيـ دـكـانـ إـحـدىـ بـنـاتـ بـلـدـيـ
كـانـتـ قـدـ جـاءـتـ قـبـلـيـ بـسـنـينـ،ـ بـالـمـالـ الـذـيـ
اسـتـطـعـتـ جـمـعـهـ أـدـفـعـ أـجـرـةـ هـذـاـ المـأـوىـ،ـ
حـيـثـ تـقـنـىـ أـيـامـيـ.ـ لـاـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـسـامـحـ،ـ
كـمـ لـمـ أـحـاـولـ ذـلـكـ.ـ فـقـدـتـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ الـحـبـ،ـ
عـلـىـ الـبـكـاءـ أـوـ عـلـىـ الـضـحـكـ،ـ أـوـ عـلـىـ الـأـقـلـ هـذـاـ
مـاـ أـعـتـقـدـهـ.ـ أـشـاهـدـ
الـأـخـبـارـ كـلـ لـيـلـةـ تـقـرـيـباـ،ـ مـعـ رـفـيقـاتـيـ

في الغرفة وعندما أسمع أنَّ "الإرهابيين
الفلسطينيين قاموا بـ..."

أضحكُ في داخلي
إذ ما الذي يسمونه "إرهاباً": "أننا نقاتل
من أجل ما هو لنا؟ أننا نطالب بما هو عدل؟،
ترى أنسنا بشرًا؟ ترى هل العالم
أعمى ولا يرى أنهم يقضون علينا؟"

إذا كنت إرهابية لأنني أصرخ بالعالم أنَّ أهلي
يموتون. إذا كنت إرهابية لأنني أقاتل كي
يكون لأولادي طفولة ومستقبل. إذا
لا يهمني أن يدعوني إرهابية، بل وأكثر من ذلك،
فهذا يزيدني كبراءة. لكن ليكن واضحًا أن اليهود
ليسوا

هم الكائنات العادلة والعقلانية التي عليها أن
تتحمل "الإرهابيين المتخوّفين في فلسطين"،
بل إننا نحن الفلسطينيين من علينا أن نتحمل
بالحجارة وبالدم وحشية
اليهود وأعمال النفاق المتكررة للصهاينة في
العالم.

كما قلت من قبل، أنا لن أسماح، لكنني أيضاً

لا ألم الأطفال اليهود، فهم ضحايا بريئة
لكراءٍ آبائهم، الذين يعلمون أبنائهم أننا نحن
الفلسطينيين الإرهابيون، نحن من
يعتدى على "دولتهم" {الوهنية، وكل كلام آخر
زاد}.
عندما أصلَّى الله أدعوا لجبرائيل وفؤاد،
كما أدعوا لأجل الأطفال اليهود، كي
يفتحوا يوماً عيونهم على الحقيقة ويدركوا
من هم القتلة الحقيقيون.

هذا وليس عندي ما أضيفه،
فقط أريدهم ألا يكتبوا اسمي على شاهدة قبرِي،
فما من أحد سينذكرني هنا،
فقط أريدهم أن يكتبوا : " هنا ترقد إرهابية،
وكانَت إرهابية فقط لأنها قاتلت من أجل
حقوق بلدها: فلسطين".

هذا كل شيء.

انتهاري

أيها الطفل، يا الحافي القدمين
منذ أن وعيت وأنت ترى الجنود ذاتهم،

وتسمع النحيب ذاته،
ناسياً أنك أنت أيضاً تبكي.
لا تعرف معنى النوم الهدى؛
فما أن تغمض عينيك حتى تطرق براشن الكراهية
نافذتك،
يُذكرونك أنه لا حق لك بالحلم،
بينما أزيز الرصاص يحكى في أذنك
كم من أبناء شعبك لا يطلع عليهم الصباح.
حين تستيقظ فجراً لتذهب إلى مدرستك
المرجلة،
تمعن النظر بأبويك كي تتذكرهم
كما تتذكر لوحة في حال أنك لن تعود لترأهم.
الألعاب التي تعلمتها، علمك إياها الغبار والريح؛
رفاقك في البوس، أطفال آخرون،
يحملون خوفك ذاته
يمضون ببطء،
عندما يرد الجنود على الحجارة بالنار،
بينما تظل تتساءل متى سيكون دورك،
حتى تستطيع العودة للعب معهم،
لكن بعيداً عن التسديد الدقيق للجندي،
بعيداً عن الجحيم.

إذا حالفك الحظ
ستدرك حجم الرجل،
وإن غدت روحك إذ ذاك
روح عجوز.
وسترى البؤس ذاته،
لصوص أرضك ذاتهم،
القساة ذاتهم،
يضحكون لانتسابك
المنافقين ذاتهم يقولون "سلام"
مخفين رغبتهم في الحرب
وسترى الحمقى ذاتهم
يصدقون المنافقين ذاتهم،
القساة ذاتهم،
وحيث ترى كل ذلك ويكون عليك
أن تتذكر كل الذين أحبت
مثل لوحةِ جامدة
حين تنسى رائحةِ شعر أمك،
ضحكاتِ أخوتك، كلماتِ أبيك،
حين تدرك أنك لا تملك شيئاً،
وأنَّ مجرةً شعبك لا قيمة لها بالنسبة للآخرين
 وأنَّه سيبقى يولد أطفال بلا أحلام،

بلا نعال،
بلا بيت،
ستنبع ديناميتاً في صدرك،
ستفجر لحمك ألف قطعة
مثل قطرات ماء
وستتفجر نافورة دمٍ
بينما العالم ينام تحت علامة الدولار
سيكره اسمك
سيقول إنك إرهابي فلسطيني آخر،
انتحاري،
كائن بلا مشاعر،
والناس لن يفهموا أن القتلة الإرهابيين
هم الذين يكرسون أنفسهم لقتل أمل روحك
اليومي.

سبعة آمال

لقد قتلوا سبعة آمال،
رأيت الجنة تمضي يرفعها رجال منسيون،
رأيت الولايات قد شكلت بحراً من دموع وألوان.
لماذا أخمدوا النور في عينيك؟

لماذا يحملون إلى القبر ضحكة طفولتك؟
لماذا لا تذكرك الأخبار الآن؟
ربما، لأنك فلسطينية
والذين لطخوا أيديهم بدمك
وبدم الكثير من الأبرياء،
يزعمون أنهم يحتمون فحسب
وأنساعهم مم يحتمون؟
أتسبب نقاوتك الطفولية لهم الخوف؟
هل من الخطر أنك مثل وردة تكبرين و
لأجل ذلك يقطفونك؟
ربما يخافون أن تكوني سعيدة
فضحكة طفل فلسطيني ترعبهم.
الرجال الذين يعيشون سجناء في وطنك
يحملونك بأيديهم
ليراك العالم تتامين على علمنا، يحملونك كصرخة،
كضيق حين تعلمين أن هناك سبعة آمال
منية،
لكن من السماء،
سترسلينها حصة من حلواتك
سعيددين القوة
للراية وللأيدي التي تحملك...

إلى الضفة الأخرى

رفع عينيه وقال لي: "احذر، أُسكت أفكارك
أو سيفضي عليك".

لا يعرف أنتي لا أخافه،
أن تهدده ينعش ناراً قديمةً فحسب،
موقداً سيتقد دائمًا.

انظرني إليها القبيح،
ماذا يهمني،

نظرتك ستزيد من فخري فحسب،
تجعلني أرغب أن أصرخ فيك نعم،
إنني فلسطينية، لا أنت ولا أحد آخر يستطيع
إسكات الحقيقة.

لن تستطيع أن تحمي نفسك،
تعلم جيداً أن أرضي لم تكن أبداً بيتك،
أن هناك أمهاط في الليل يسمعون صرخات أبنائهم تاديهم.
من فضلك، احفظ تهديداتك

لن تستطيع أن تمحي الدم عن أصابعك
لن تستطيع أن تقول أنك لم تفعل شيئاً،
تعال وانظرني إليها القبيح
عد وامرني بأن أصمت

لأصرخ مائة ألف مرة في وجهك،
حقيقة إن كان ما يزال عندك ضمير،
لن يسمح لك بالنوم في الليل.
ربما سيكون العالم كله مفتوعاً،
أنك كنت شهيد القرن؛
لكن لا تظن لأنك عانياً،
يحق اليوم لك أن تكون قاتلاً،
ولا تحاول إقناعي،
ولا تأتِ بضحكك المزيفة،
ولا تحاول حتى أن تغلق فمي،
لأنني نعم
فلسطينية وانظرني إليها القبيح،
لأنني لا آبه.

هكذا أنت

أنت الريح الحصيفة تحرك أوراق الأشجار،
تنعش وجوهاً أحرقتها الشمس،
أنت الماء الذي يغذي ويعيد الحياة للحقول.
بداك قادرتان على مزج الماء بالطحين،
لنسكتا الجوع،

بالطريقة ذاتها التي تحمل فيها هاتان اليدان الحجارة
لتهدي من عجزها.

عيناك نجمتاً أرض
تبرهنان أنَّ الكميم ذاتها التي توجتها بأنقى عذوبة،
تملوهما شراسةً

والآلم ذاته الذي يتغلغل في صدرك كسهمٍ حتى
يُفرغ عروقك من الآمال
هذا الألم ذاته يسمو بك،
يكسوك بالبسالة الأكثَر سمواً

فما من شيء أسمى من أن تقاتل من أجل الأبناء
ومن أجل الأرض.

عندك كم من الحنين،
من الآلام العتيقة،

ما يجعل فك لغز داخلك
وصفاً لعالم الأحلام
وفهم روحك هو فهم شعور
شعبك كلَّه.

لن يسلبك كبرياءك أحد،
لن يستطيع أن يدنس أحد أسمك أبداً،
كما لن يستطيع أن يقول أحد للنور
أنَّ قوة الليل هي الأقوى،

أنتِ محاربة،
أقوى من رصاص الجبناء.
هل يستطيع الذل إن أراد أن يجرح كبرياءك الذي صاغته القرون؟
هل يستطيع برد الرصاص أن يوقف قلبك، قلب الأم؟
هل تستطيع الكراهية القوية والقدرة أن تلطم
بياض مثلك الهاهاف؟
يا أم أجials مضطهدة
يا ملاد من عاش ينظر الهول،
في كلّ الطرق،
يا أم فلسطين النازفة،
مسعاك هو الأنبلُ
قضيبتك،
قضية الجميع،
هي الأقدس.

رسالة فلسطين إلى اليهود

يستطيعون أن يخضعوا جسدي لأغلال النار
لكنَّ فوتني ستبقى دائمًا متقدة
في كل خلية من خلاياي، ألقها
سيتبعث من مسامي.

يستطيعون أن يحبسوا فكري بين أربع حيطان،
لكن خيالي سيطير مع الريح
كي يجعل أوراق الأشجار تتساقط في الخريف.

يستطيعون أن يقتلعوا عيني، لكن نوري الداخلي
سيرني وستصبح الألوان أكثر حيوية.

يستطيعون أن يسلبوني أرضي، لكن الشمار
ستفقد حلواتها التي كانت لها عندما
كانت أيدي أبنائي الطاهرة هي التي تجذبها.

يستطيعون أن يسلبوني أبنائي ويُسبحونني
بدمهم البريء، لكنني سأنجب دائمًا مزيداً من الأبناء يصرخون
بأسماء إخوتهم القتلى في وجه العالم.

يستطيعون منع الماء عنّي، يستطيعون سلب الخبز مني،
لكنني سأقات بحجارتي وأأشربُ ترابي.

يستطيعون أن يبتغوا محو الحقيقة إن أرادوا، يستطيعون أن يشوهوها
كما لو كانوا ملائكة، يستطيعون أن يلعبوا بأيديهم
القدرة فيزيزنون "أعمالهم".

مثل دمى من طين ويستطيعون بعدها أن يحصلوا على المال،
كي يحجبوا بقماش أسود جرائمهم.

يستطيعون أن يدوسوني، أن يحرموني فرح ضحكات
الطفولة وأن يستبدلواها بصراخ الأمهات.

لكن ستظل هناك قوة جامحة

في روح أبنائي المتبقين.

من أين أنت؟

قالت لي أمي:

"قوتك جاءت في زورق منذ أكثر من ثمانين سنة،
حضرها آباء أجدادك محملاً برائحة البحر والمعكرونة
ونتركوها لك كهدية يوم عوائدك."

وبدأت أفكر؛

"من أين يأتي أهلي بالقوة؟"

لأنَّ من الصعب استيعاب

كيف يسمو الشعبُ الفلسطيني أبياً وسط الخوف في هذا الجحيم،
مدافعاً عن نفسه.

أظن أنهم يستمدونها من حب لأرضهم،

من معرفتهم أنها لهم،

متلما التلّج للجبل،

والدم للعروق.

ربما تأتي القوة من مقاومة الجمل،

الذِي يسير بلا تعب في وحشة الصحراء،

أو ربما تأتي القوة من السماء،
من أرواح من مات دفاعاً عن ما هو لنا.
أو ربما تستمد القوة من هشاشة طفل،
مازالت تعلو وجهه ابتسامة.
ولكي أقول الحقيقة،
لا أعلم من أين تستمد القوة.
فقط أعلم أن قوتي جاءت في سفينه،
منذ أكثر من ثمانين سنة،
 وأنها تكبر بالإيقاع ذاته
الذي نباد فيه.
لذلك أحذر
من قوتنا، فاحذر.

حائط المبكى

تقضي الحياة لاطماً رأسك بجدار من حجارة،
ومن لديه صليب معلق حريٌّ به أن يخبره
لا تشعر بالإهانة.
هل أقول لك ما الذي يجب أن يبكيك؟
إن نظرك تسمم
وهلك يشتري الضمائر

إِنَّك شَجَرَةً مُتَعْفَنَةً،
وَجَذُورَك تَمْتَصُّ الْبَرَاءَةَ.
هَيَا إِبَكِ الْجَوْعُ الَّذِي يُسَبِّبُهُ الطَّعَامُ الَّذِي لَمْ تَحْصِدْهُ قَطْ وَانْتَزَعَهُ مِنْ
آخِرٍ؛
إِبَكِ الْعَطْشُ، الْمَاءُ الَّذِي سَرَقْتَهُ مِنَا.
إِبَكِ الْحَنْظُلُ يَجْرِي فِي عَرَوَقَك
وَأَنَّ لَكَ يَدِي قَاتِلٍ
وَضَمِيرًا كَضَمِيرِ الضَّبْعِ.
قَالُوا لَيِّ أَلَا أَكُرْ هَكَ؛
وَأَنَّ هَذَا سِيرَفُونِي إِلَى مَسْتَوَكَ
لَكِنَّ الْمَشَاعِرُ أَمْوَاجٌ تَنْصُلُ الشَّاطِئَ دَائِمًا؛
وَلِي الْحَقُّ أَلَا أَجْلُ القَاتِلِ،
الْمُعَذَّبُ، إِنْسَانٌ الَّذِي يَؤْنَبُهُ ضَمِيرُهُ.
أَرِيدُكَ أَنْ تَبْكِيَ، لَكِنَّ لِأَجْلِ مَا تَفْعَلُهُ الْيَوْمَ،
وَإِذَا كُنْتَ لَا تَسْتَطِعُ فَسَأُسَاعِدُكَ،
سَأُمسِكُ بِعَنْقَكَ
وَأَضْرِبُ رَأْسَكَ بِحَجَارَةِ جَدَارِكَ،
عَسَى أَنْ يَتَحرَّكَ خَبَبُكَ قَلِيلًا
عَسَى أَنْ تَسْتَيقِظَ
إِذَا مَا لاحَظْتَ أَنَّ حَقَوْقِي هِيَ حَقَوْقُكَ ذَاتِهَا،
وَأَنَا فِي بَيْتِي، زَائِرٌ.

أذْرِكُ لِمَاذا تَرْعِجُ الصُّلْبَانَ عَلَى الصُّدُورِ،
فَالْمُسَأْلَةُ أَنَّهُ يَغِيظُكَ أَنْ يَقُولَ أَحَدٌ حَقِيقَةً،
حَقِيقَةً لَيْسَ حَقِيقَتَكَ.

حِينَ قَالَ الْمَسِيحُ جَمِيعَنَا سُوَاسِيَّةً،
أَعْلَنَ عَلَيْكَ الْحَرْبَ،
لَأَنَّكَ تَظَنُّ أَنَّكَ نُورٌ وَالْبَقِيَّةُ بَهَائِمٌ.
وَلَأَنَّكَ تَكْرَهُ أَنْقَى الْحُبِّ، تَمْقَنَّهُ،
وَتَمْقَنَّ ابْنَاسَمَةَ طَفْلَ فَلَسْطِينِيَّ،
تَقُولُ إِنَّكَ تَرِيدُ سَلَامًا، ثُمَّ تَعْبُدُ الْحَرْبَ
مَعَادِنَكَ وَدُولَارَاتَكَ تُكَبِّلُ كُلَّ مَا تَجِدُهُ فِي طَرِيقِهَا
وَالنَّاسُ يَقُولُونَ عَنَا "إِرْهَابِيُّونَ"، دُونَ أَنْ يَعْرِفُوا شَيْئًا
بَيْنَمَا لَا أَحَدٌ يَصْرَخُ بِكَ يَا قَاتِلَ،
لَا أَحَدٌ يَبْصُقُ فِي وَجْهِكَ.

سَأَرْأِفُكَ إِلَى جَدَارِكَ، عِنْدَكَ كَثِيرٌ مَا سَتَبَكِيهِ
إِذَا احْجَبَ لِمَسَاعِدِي

سَأَمْسِكُ بِعَنْقَكَ بِيَدِي وَأَسْاعِدُكَ عَلَى أَنْ تَلْطُمَ رَأْسَكَ
إِذَا كُنْتَ فَعْلًا تَبْكِي مَا تَفْعَلُ،
هَا أَنَا ذَا هَنَا كَيْ أَحَاوِرُكَ
لَكُنْكَ إِذَا كُنْتَ سَتَمَارِسْ سِيرَكَأُّ مِنْ سِيرَكَاتَكَ فَتَذَكَّرَ
أَنَّ يَدِي كَبِيرَتَانَ وَأَنَّ مَقاوِمَتِي هِيَ قَوْتِي
وَأَنَّ جَدَارَكَ قَاسٍ وَبَارِدٌ.

اللغز

لم أر عيونهم من قبل، لكنني كنت أعلم، بشكلٍ سري، كيف تبرق،
لم أسمع أصواتهم من قبل،
لكنها معروفة لدى.
فجأةً أعلم أنني أحببتم،
وأنَّ خيطاً خفيَا، مرتنا، أبدياً،
يجمعنا، يوحدنا.
أحسست أنني جزءٌ منهم،
وأننا جزءٌ من شعبٍ واحدٍ،
أننا المدعوون لمقاتلة
الظلم ذاته،
لأنَّ أجدادنا قدموا أشكالاً
لقطع مختلفة، للغزِ واحدِ؛
وعندما يبدو أنَّ هذه القطع تتلاقى، تتوافق
يقيمون احتفالاً في السماء.
نعرف ببعضنا منذ الأزل،
عندما يتلاقي الشباب
في الزوايا المغبرة،
فإنَّ بعضَا منا يلتقي ثانيةً،
في رمية كل حجرة،

جزء من قوتنا هي التي تضرب، قوة حية،
كثيراً ما تكون نائمة،
أو موهة باللامبالاة.
في أيدينا مستقبل تلك الأرض،
مستقبل أولئك الشبان الذين يلتقطون
في الزوايا المغبرة،
أولئك الذين من تعفهم من البكاء يقذفون الحجارة،
وعلينا أن نقاتل من أجل الرجال والنساء
الذين ربما كانوا آباءنا
من أجل الشيوخ الذين ربما كانوا أجدادنا
لولا السفن التي جاءت بآبائنا إلى أراضٍ أخرى كثيرة،
لكن معهم جاءت الروح
وذلك الخيط الخفي مع المادة الخام لصنع قطعاً
من اللغز الكبير ذاته.

أزهار

الأزهار الأرجوانية، البيضاء والصفراء،

التي بقيت نائمة كأغصان عارية

طوال الشتاء،

استيقظت واحتالت فوق أرض جافة،

بطريقة سحرية،
مفعمه بالغموض.

الهواء ينقل ألحان قيثارة
والطيور التي تشق السماء
ترثى اللحن ذاته.

وهناك، بعيد جداً، حيث لا يوجد أزهار،
يسمع أيضاً لحن،
لكنه يجرح الهواء،
حيث طيور الفولاذ وحدها ترددت.

وفي الليل
تشاهد أضواء وتسمع انفجارات،
وفي النهار تشاهد أرطال وأرطال من البشر،
ينتظرون طبقاً من الطعام،
بنظرة هائمة في مطلق الفجيعة
في سخرية الحياة.

هم الكائنات الحية
ضيعوا أحالمها،
لأنها استبدلت بالنحيب.

يبدو أنه ما من أحد يفهم أنه بالقتل
لا يجني إلا مزيداً من القتل؛
لماذا القتل إذا؟

فالقتل لا يُسكن الألم،
فما يمس شخصاً يمسنا جميعاً.
فأي جبان يستطيع أن يطلق صاروخاً،
لكن الشجعان الذين يحبون قليلون.
من السهل أن تضرب
أن تبتئر
أن تدمر
لكن كم من الصعب أن تلطف
عندما لا تحب.
ما طعم الحياة إذا لم تحب؟
جميعنا مختلفون،
لكننا جميعاً متساوون؛
نستنشق الأوكسجين ذاته،
ودمنا الدم الأحمر ذاته
وجميعنا سننتهي منصرين بهذه الأرض،
وسنصبح السماد ذاته
للأزهار ذاتها.

الحطة

جاءت من فلسطين في كيس شفاف،

داخل حقيقة أبي.

مطرزة بالدم ولها وزن ريشة بيضاء.

إنها قطعة من قماش ولا تطمح لتكون شيئاً آخر،

لكن معناها أقوى من الريح،

هي منها تجلب عبق الذكريات.

خبائتها في خزانتي واعتقدت مثل كثرين آخرين

أنها مجرد منديل.

لكنني اكتشفت أنها أكثر من ذلك بكثير.

تبين أنني أنتمي إلى سلالة من الشهداء،

من التقاليد والسفن.

لونها

يذكّرني بدم من رحلوا ولن يعودوا أبداً،

كل خط فيها يحكي قصة،

قصة من لا صوت لهم،

من عليهم كي يرفعوه

أن يغمضوا أعينهم.

بعد أن فكرت بفلسطين

أشعر بأن قطعة القماش

التي أخبرتها في درج خزانتي،

أنها، إن لم تكون رايتي

فيها هويني.

اليوم

تُسمع الضحكات من كل صوب،
ضحكات عصبية،
ناس يضحكون من فراغهم الذاتي.
وفي المذيع تُبث أغنية،
بينما، هناك، بعيداً،
لا يوجد ضحكات.

هناك أصوات ملونة ما إن تصل إلى الأرض
حتى تقتل كل شيء حي،
هناك صواريخ تشق سماء جريحة
منذ زمن بعيد.

هناك أطفال بلا أمهات، أمهات بلا أطفال،
وناس لا يتقاسمون غير الألم لأنّه
مقدّر عليهم أن يعيشوا الاضطهاد،
بسبب من يقولون إنّهم عادلون
ويظنون أنّهم مقدّسون.

حرقة بطون الصغار،
تحترق ببطء حتى ينتصر الجوع
ويحل الموت.

يرحلون كما جاؤوا.
مهدهم الحجارة
ومستقبلهم العدم.
وتسمر الحياة،
وتفرض الحقيقة نفسها،
وتهزمنا اللامبالاة
والحادية السقيمة،
ملكُ قلوب البشر،
تبثت مثل وردة سوداء.
فقدنا بريق العيون.
وحدها الاعتبارات الزائفة تلمع.
فقدنا القدرة على أن نهدي ابتسامة
ولا نرى أبعد من أنفنا.

تسمر الضحكة العصبية،
ولا أحد يطالب بوقف الأضواء التي تقتل،
العجزة التي تبدي،
ونبذو للأبراء الذين لا نراهم،
للأطفال الذين لا يعنون لنا شيئاً،
مثل كومةٍ من علب صفيح فارغة!

لقد ماتت الطفولة

لقد ماتت الطفولة فيك، يابني.
لا أعلم ما الذي تغير في عينيك
ولا من أخذ لعبك
ما أعلمه هو أن طفولتك قد ماتت
تعيش على رؤية الذعر في الوجه،
في مدرستك؛
بناءً متقبًّا مثل جبن،
لا تستطع أن تصوغك في العلوم.
تتعلم صنعة من لا يملك شيئاً،
من لا ينتظر شيئاً.

ترى أمك
وصورة أخيك الميت محفورة في وجهها.
مثل وشم،
ترأها منحنية تصنع
جزءاً من فتاتٍ متبقٍ.

لقد ماتت الطفولة فيك، يا ولدي.
تعتنني بأخوتك الصغار الطلقين

كالريح،
وبنراهم صغاراً
بجانب جدار المبكى.
أرضك مبتورة
وألهاها يملئ صدرك،
رماح وسائلك
وفي المساءات تسمع دوي القصف.

لقد ماتت الطفولة، يا بني.
أبوك بلا عمل ولا مال،
يجلس في المساءات الصفراء،
بجانب باب هو اليوم بيتك،
لأنك لا تعلم
ماذا سيحل به في الغد.

بودي أن آخذ بيديك
وأريك سماء بلا غيوم،
حديقة مليئة بالأزهار،
فيها نهر صغير صاحب كضحكك،
أن أمنحك مستقبلاً، أو على الأقل أن أضمن لك
أن الصبح سيططلع غداً على الجميع،

أن لا تلتقي رصاصة،
بل ملاطفة.

لقد ماتت الطفولة فيك، يا بني.
وأنا..، أنا لم أفعل شيئاً لإعادتها إليك.

ذنبي

وضعتَ المتجرات، بملائقة بشرتك،
مثُل أغلى كنزِ،
مبغياً أن تنسى كلَ شيء،
أن تُطفئ النارَ التي تحرقك منذ سنين،
تُفكّرُ أنه ربما سيسمع دمك
ما دام صوتك لا يسمع.

جراحُ شعبك،
أنظف قليلاً،
أكثر اندماجاً بقليل.

وأصابع الموت الباردة،
على حنجرتك الطرية،
يبدو لك أحلى من أزيز الرصاص،
الرصاص الذي يطفئ حيوانَ،

الرصاص الذي لا أحد يُسكته.

تريد أن تغمض عينيك كي لا ترى مزيداً من البؤس،
من الأسئلة المتجمدة في الوجه،
ومن آثارٍ تمزق كلَّ تلك الأرواح.

كيلا تعود وتسمع صوتَك الداخليَّ
الشكوك التي لا تتقطع،
الأحلام لم توجد قط،
لأنهم ألقوا بحكمهم في وجهك،
أعلنوك مذنبًا
لأنك ابن الانفاسة
لأنك ابن امرأة كبيرة العينين،
لأنك ابن أبِ دافئ النظرة.
يتهمنونك بأنك عربي
بأنك خُلقت باسمًا وسط العدم،
بأنَّ قدميَك قويتان،
ودمك نقى،
وروحك بيضاء.

وأنا أيضًا أدنتك،

صمتي هو جزء من الحكم عليك،
لا مبالاتي هي فرحتك.

لماذا لا أصرخ باسمك للصم؟
لماذا لا أذكرك في كل صلاة من صلواتي؟
كيف أستطيع أن أنام بين الملاحف البيضاء،
بينما تتماً أنت على الحجاره،
بينما الغم وسادتك؟

اليوم، عثرت عليك الكلاب المسعورة،
أخذوا جسدك وحبسوه في قفص.
غبار السحر لم يعمل،
دمك لن يصرخ بشيء،
الموت سيصل قريباً،
أو ربما خطوه المتنقل ليس محسوساً،
بين الجدران،
في الإسمنت البارد،
في معاملة الكلاب
في حفرة النسيان.
وما عساي فاعل باسمك؟
ترى ألن يستطيع دمي أن يصرخ كما دمك؟

لماذا لا أقول اسمك؟
لماذا لا أذكر حقوقك؟
لماذا صمتني أصبح شريك الكلاب؟
وهذا الصمت يقتلني.
ضميري سيصير الخنجر
سيشقّ جرحي، يذبل روحـي.

لِمْ يَنْتَهِ

نظرته لامعة وعميقة
تشي بأن أجداده أصحاب أراضٍ رملية
أنفه يحدد وجهه، والتجاعيد بدأت تشق جبينه.
دهون ومحاشي الآحاد،
تراءكمت في خصره
شداه يرسمان في الوقت الذي يرافق فيه
أوراقه النقدية،
التي جمعها بعرق جبينه من أجل
الموئل
والأحياء
والأطفال
له شركته الخاصة، يعمل شاقاً

ويشكو سواء ربح أو خسر.

جاء أبواه من هناك، من مكان قصيَّ،
 بحقيقةٍ مليئة بالأحلام،
 عاش هنا يفكراً بالأرض التي غادروها،
 بالناس الذين عاشا بينهم
 عاشا يسمعان من يناديهم "تركين"
 وما تأملين أن يعودا ليطأ أرضاً
 عشقها روحهما

هو يشاهد الأخبار، يعرف
 كم قتلوا،
 يعرف أنَّ دماً بريئاً يسفك.
 ويرى على الشاشة أطفالاً مبتورين
 يعرف ما المسألة،
 يعرف ما يجري، لكن عندما تنتهي الأخبار،
 يُطفئ التلفاز ويمضي.
 يتذكر أنه ينتمي إلى الرجال
 الذين يعتمرون الحطة،
 مرة في الأسبوع عندما يدعوه أصدقاؤه في النادي.

حتى الآن لم ينتبه إلى أنَّ الدم ذاته
الذِي يجري في عروقه،
هو الدم الذِي يُسفك.
لا يستطيع أن يرى أنه ملتزم بتلك الأرض،
وأنَّ سفينَةً أنقذت والديه
من المصير الذي ينتظر الفلسطيني:
الحرمان من الحرية،
رؤيه الأبناء يموتون ببطء،
في البداية بالأمل، بعدها بالقوة
ثمَ بالقنابل.

هو لا يستطيع أن يعطي قطعةٌ نقديةٌ للقضية،
لكنه يستطيع أن يشتري مزرعةً بمنزلٍ كبيرٍ،
لا يستطيع أن يرفع صوته عندما
ينادوننا إرهابيين،
لكنه يستطيع أن يزور عندما يخدعه مرابوه.

لا يريد أن ينتبه إلى أنَّ ذلك الطفل الحزين
الذِي يرفع الحجارة
يشبه ابنه، حفيده ويشبهه.
لذلك، عندما يشاهد الأخبار يقول: يا للأسف،

بعد ذلك يستعرض المحطات ثم بناءً،
فعليه أن ينهض باكراً،
سيذهب في اليوم التالي إلى النادي وسيعتمر الحطة
التي يحفظها في كيس عتيق،
وتحمل رائحة سفينة.

أفكر فيك

كل شيء سيكون سهلاً لو أتنى لا أحبك.
يمكن أن أفتح النافذة وأرى النور،
دون أن أفكر كيف أصبحت.
يمكن أن أفكر في مستقبلي،
دون أن أتذكر أن مستقبلك هو أن تستنشق الغبار،
أن تنتظر أن يأكلك الألم من الداخل.

يمكن أن أستيقظ سعيدة،
بكل ما أملك من جميل.
لكن مُخيّمك وبؤسه يرد إلى ذهني مثل موجة كبيرة،
تقطع أحلامك.

لا أعلم إن كان حبي لك مستعاراً،

إن كان صاغته نار أبوي ذاتها
نار أجدادي ذاتها.

لا أعرف غير أنني أحبك،
وأنني أبكي بصمتٍ، سرًا معك
في داخلي.

أود لو أنسى وجهك
لكنني لا أستطيع.

نظرتك تداهمني في الليالي
فلا أنام.

حين تمتئي يدائي
أفكري بيديك،

الفارغتين

منذ زمنٍ بعيد.

ومن المضحك أن أفكّر،
أنك و على الرغم من كل شيء،
تملك القوة لتقاول في أعماقك،
بينما أنا،

تحرقني المرارة،
مثل أسوأ الحرائق.

لا مناص من حبك،

فنحن جُبِلنا من الطينة ذاتها،
وأعجب بما تمثله،
لأنني لا شيء بجانبك.

أخاف أنا أحبك كثيراً،
لكنني مرعوبة من أن أحبك قليلاً،
لأنَّ من يحب ولا يصنع
 شيئاً من أجل من يحب
أندل الأوغاد.

امنحني قليلاً من شجاعتك،
نفقة من رقتك،
كي أصرخ،
مهما كان حجم حبِّي لك،
باسمك،
كي أصرخ بنحيبك
كي أصرخ بحربيتك
ويسمعونني حتى على القمر.

فراغ

كنت أفكِّر بمعنى أن أشعر بنفسي فارغاً،

أشعر أن لا أحد يفهمك،
أن حياتك عقاب.

كنت أفكر بمعنى
أن أكون فلسطينياً،

واكتشفت أن لا علاقة لذلك بالدم
أو بالأرض التي ولدت فيها.

لا أستطيع أن يكون لي ألم شعبي،
المضطهد، لكنني أستطيع أن أشعر به،
لأنني عندما أرى ذلك الطفل،
الذى ينام بين أقمطة دمه

وعينيه البلوريتين؛
أدرك معنى أن يشعر المرء بنفسه فارغاً.

كما لو أن الروح التي يمكن أن تؤوي الكثير من الألم،
تفجر في لحظة.

وشظاياها في الهواء، لا يفهمها أحد.

فأن تكون فلسطينياً يعني أن تعيش دون أن يفهمك الآخرون،
أن ترافق من خلف النوافذ لترى الحرية تصل،
بينما الأوغاد لا يتوقفون عن إطلاق النار.

أن تكون فلسطينياً يعني أن تكون موثق الدين وأن يكون على القدمين
والفم خاتم المأساة،

بينما يجلس آخر على طاولتي.

لكنني بالتفكير أكثر قليلاً،
استطعت أن أفهم،
أن جسداً مبتوراً وعيوناً قليلة جفت دموعها،
 تستطيع أن ترفع أيديها كي تحارب،
 وأن شفاهماً ما زالت مكمومة،
 تستطيع أن تزمر مجر مثل غناءٍ وحيد،
 غناءٌ يُبشر بالنصر،
 ينزع منا الفراغ.

أماء

تجلسين على الأرض المُغبرة،
 بجانب أطفال وطفلات آخرين،
 يأكلون خبزَ الفقر ذاته،
 لدיהם بدل الدفاتر حفناتٌ من ترابٍ وحجارة.
 تقضمهم جميعاً دغدغة أمٌ
 ومبركاتها قبل الذهاب إلى النوم.

إنك عجوز مصغرة.

مَرْقَ الْوَاقِعُ نَسِيجُ طَفُولَتَكَ الْبَضَّ؛
دُونَ اعْتَبَارٍ،
بَلْ دُونَ حَتَّى أَنْ يَدْعُوكَ تَقْوِيلِينَ وَدَاعِيَاً لَدَمِيَّةِ خَرْقَكَ،
كَمَا لَمْ يَدْعُوكَ تَقْوِيلِينَ وَدَاعِيَاً لِمَنْزِلَكَ،
قَبْلَ أَنْ تَصُلَ الدِّبَابَةَ.

ما من راشدٍ يحتاج إلى أن يشرح لك
الكلمات الصعبة.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّكَ صَغِيرَةً،
تَعْلَمِينَ جَيْدًا مَعْنَى أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ فَلَسْطِينِيًّا.

تَعْلَمِينَ أَنَّكَ أُمِيرَةُ الْغَبَارِ،
أَمِيرَةُ الْمَنْسِيَّةِ

مَمَنْ يَقُولُونَ بِالْدَّافَاعِ عَنْ مَمْلَكَتِكَ؛
وَرْدَةُ بَرِيَّةٍ نَبَتَتِ فِي قَلْبِ الْحَجَرِ،
تَمَدِينَ بِتَلَانَكَ الْبَضَّةِ نَحْوَ الشَّمْسِ،
رَغْمَ أَنَّ حَذَاءَ جَنْدِيَ يَدُوسُكَ.
فَلَنْ يَسْتَطِعَ أَنْ يَطْفَئَ
لَوْنًا وَاحِدًا مِنْ أَلوَانِكَ الْأَرْبَعَةِ.

كَثِيرُونَ يَرْفَعُونَ صَوْتَهُمْ مَدَافِعِينَ عَنِ الطَّفُولَةِ الْمُضْطَهَدَةِ،
وَتَخْرُجُ مِنْ أَفواهِهِمِ النَّتَّةُ كَلْمَاتُ كَالْحَبِّ،

كالعدل، ومع ذلك،
فلا أحد يقول شيئاً
عن الأميرة المنسيّة.

وعندما يقتل الأوغادُ رفاقَ بؤسك الصغار
يصمت الناس.

ليكفوا، فلا يأتوا ليقولوا لنا إنَّ هناك حقوق طفل،
ربما وجدت من أجل آخرين،
وليس من أجل الفلسطينيين.

لا، فال المصير بالنسبة إليهم مختلف،
ليس لديهم طفولة،
لأنها ذهبت مع الأحلام
ولم يعثروا عليها في أي طريق.

أتساءل عما إذا كنا سنصبحُ ذات يوم،
قادرين على أن نعيدهم؛
يوم يفهمُ العالم
أنَّ عليه أن ينزع العصابة عن عينيه،
ويكتشف
أنَّ في فلسطين
أمراه وأميرات
يستحقون مستقبلاً،

قبلة،
قلعة حرة،
تعود إليها الطفولة والأحلام.

بحث عنك

سمعت عن شفافيتك،
عن عزاء الشعور بك قريبة.
عن عنوبة صوتك وألمه الخام.
قرأت عنك،
في أوراق كلّ شجرة،
في لحن كلّ عصفور
في السجلات الخالدة
التي لا أعلم من نسيها.

أبحث عنك كما يبحث عامل المنجم عن الماس،
فقط كي أعثر على آثارك،
على أيّ أثر لحضورك...
يذرك الرجال كثيراً
يدمرون، يقتلون، يسرقون
ويعذرون باسمك،

يدنسونه كثيراً،
حتى أنتي أشك بنقائص
أشك بأنك تتنفسين،
وبأنني سأراك قريبة يوماً ما.

أنت غمامه بين الأصابع
أنت الكلمة الخيرة في دعاء مكرور.
لا أدرى ما هيئتك
فقد حشرونك في قوارير
من مختلف الأشكال والأحجام،
كما لو أنهم لا يعلمون أنك فريدة،
وجوه هرك مرمر
وليس فخاراً.

لكنهم يبیعونك، يسقطونك، يضغطونك
بيترونك، يقولبنوك،
ومع ذلك، فنحن الذين نتمسك بك كثيرون،
وإن سمونا ساذجين،
وإن ظنوا أننا مجانيين،
وإن أسكنتنا بالهراوات.

أين دخلت أيتها العدالة؟

إننا ننظرك منذ زمن بعيد،
أين اختبأتِ، أينتها العدالة؟
هناك أطفال يُقتلون.
فلم تصمتين، أينتها العدالة؟
باسمك يتكلّم الكثير من الجبناء.

ليس هماً أينتها العدالة،
إن كنت تریدين أن تبقى على وجهك مخفياً،
لكن من فضلك،
اكتشفي عنه عاجلاً،
فنحن بحاجة إليك،
وسنصرخ باسمك: "عدالة"
لأنه لا وجود للحرية من دونك،
ومن دونك:
نحن عبيد.

□□□

فياض خميس، الشاعر الكوبي العربي الذي بقي شاعراً

■ تقديم وترجمة: وفعت عطافة ■

في زمان ما عاد فيه أحد يقرأ ما سُمي في مرحلة من المراحل بالأدب الاجتماعي، يجد المرء أنه حين يقرأ هذا الأدب يشعر بحنين إلى زمن مضى، وكان جميلاً، حنين إلى زمن كان الإنسان يملك فيه متسعاً من الوقت كي يحلم ويُحاول أن يبني عوالمه على قدر حلمه. إنه زمن تعدديّة مضى، زمن لم يستطع الأمريكي البانكي فيه أن يمنع الناس من السعي باتجاه الحلم، وباتجاه تحقيق إنسانية الإنسان. لكن البانكي تأمر عليه وأسقطه فصار باستطاعته الآن أن يُصدر أحلام الناس وتعدديّتهم. أن يقول لهم، كما في المراحل البطيريكية، ما عليهم أن يفعلوا وما عليهم إلا يفعلوا لكن هذه المرة على مستوى العالم.

من هنا ومن أجل مقاومة الدكتاتورية العالمية، التي تُسمى نفسها اليوم بالعالم الحر، ولا تملك من الحرية غير قدرتها حتى الآن على مصادر حرية الآخرين، علينا أن نعود إلى الأدب الاجتماعي، إلى شعر الخمسينات والستينات من القرن المنصرم، وأن نؤسس لأدب اجتماعي جديد، قادر على أن يكون كونياً، ينقل الصوت المخنوّق للأفراد والشعوب. ومن هنا أيضاً تأتي أهمية قراءة كتاب جذورهم تمتد بين القارات، من أمثال فياض خميس، الشاعر الكوبي الذي كان قد فدمناه في مختارات شعرية أخرى في أعداد سابقة من الأداب الأجنبية (63 - 64 للعام 1990) ونعود لنقدمه في هذا العدد أيضاً، شعوراً منا بالحاجة الماسة إليه. إنه العربي الذي هاجر أبوه إلى أمريكا وهو يحلم بالحرية والمال، فلم يحقق إلا

السعى الحثيث للحصول على الحرية والعمل بجهد لسد كفاف العيش، ولم يحصل على المال بمعنى الثروة، لأنَّه كان يبحث عنه من تعبه والتعب يُتعب ولا يأتي بالثروة، فبقي الأبُ يجلسُ أمام بيته كما في بلده الأم، يعزف على نايِه، يتذكر الوادي والراعي في التلال التي غنتها فيروز، هذه هي ذكريات أصدقائه عنه. وجاء ابنه فيتاًضاً على قدَّ هذا الواقع، لم يعلم بأن يكون أكثر مما حلم أن يكونه الآخرون، لذلك بقي شاعراً، حتى مات وكان موته قصيدة لم تكتب بعد.

أنا هنا

أنا هنا
أتعلَّم الولادةَ
من كل سُنْبَلَةٍ تولدُ.
هنا يوماً بعد يوم
في الدهشةِ
أرى جدراناً ترتفع لأجل من لم يكن عندهم
مكانٌ يَكُونُ فيه،
أرى كيف تمتلئ الحقول بالألوان،
بالرجال يَدِنِدون ويعملون،
بأطفال ثيابهم نظيفة، يَتَعلَّمون القراءةَ
بين يدي الوطن.

أنا هنا
كحْجِرٍ بين حجارة أخرى،

كشجرة أخرى،
نهر آخر،
كجرار آخر،
كزحمة أحلام أخرى.
رجل بين الرجال
الذين يزرعون نجوم
المستقبل.

نجوم الكائي

صحيح ما يقوله الأطفال:
في الكائي الأرض تكاد تكون برئالية
والنجوم شديدة الزرقة
وأكثر انخفاضاً.

صحيح أنه صار باستطاعتنا، يوماً بعد يوم،
أن نتعلم، بهدوء،
بين الجدران الناصعة،
كيف عاش وناضل
أبطال الوطن،
ونعرف حقيقة الأشياء
التي كانت تُلفَّ

في ورق داكن
كيلا يُدركها النور.

كلَّ الحقيقة عن "الطيبين" و"الأشرار"،
الطيبين الذين لم يكونوا طيبين تماماً،
و"الأشرار" الذين لم يكونوا أحياناً "أشراراً" تماماً،
عن الذين كانوا مغموريين
في عمق الفاقة،
ولم يكونوا طيبين ولا أشراراً،
بل كانوا بشرأً يعملون.
كان الأطفال على حقٍّ:
في الكاني،
في الجزيرة كلها
النجومُ أخفضُ
والراياتُ أعلى
وكوباً كلها تزهُر وتزدهر.

مناجم الفريتو، 8 أيلول 1960.

الشعر

على الشعر أن يصنعه الجميع
لوترمون
جميعنا معاً نصنعُ الشعر

من كل شجرة نُغرس في شارع،
من كل جدار يرتفع ليحمي
حلم منبوز.

من كل قطرة عرق فلاح
يُنظر بعينِ دموعها داكنة،
إلى التراب الذي طالما رأه يُعاني؛

من كل نصرٍ جديدٍ
يولدُ الشعرُ الْرَّحْبُ،
الملتهبُ والخصيبُ،
مع صوتِ الأرضِ التي تُشَقُّ،
المحراثُ الذي يشقها،
الحاديُّ الذي يغتنمُ تحتَ الشمسيِّ

الحارثِ الذي يغنى تحتَ الشّمسِ.
شُعْرٌ يَكْتُبُهُ الجَمِيعُ،
فِي النَّهَرِ وَالوَرْشَةِ،
فِي الْبَيْتِ وَالْجَبَلِ،
عَلَى حَدِّ الْمَدِيَّةِ،
فِي عَيْنِي الطَّفَلِ وَهُوَ يَتَعَلَّمُ الْقِرَاءَةَ،
فِي يَدِيِّ تَتَعَلَّمَانِ الْكِتَابَةَ
فِي قَلْبِ الْجَمِيعِ يَتَعَلَّمُونَ
أَنَّ الْعِيشَ مُمْكِنٌ دُونَ عَذَابٍ.

هافانا، 30 تموز 1960.

قصيدة في مناجم إل فريو

تُمطرُ

ينقرُ المطرُ على سطح التوابع

من النافذة تدخلُ رائحةُ ترابٍ حلوةٌ؛

يتحدثُ المقاتلون عن الحربِ،

عن موتِ ثيرو ردوندوا، عن ابتسامةِ كاميلو،

عن الأقدام المهمشة بين الصخور والجوعِ،

يتحدثُ المقاتلون عن فيدلِ،

عن غيفارا،

عن أميدا،

عن راؤول،

وَعَنْ أَسْمَاءِ أُخْرَى مِنَ الشَّعْبِ،

عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ اسْمٌ إِلَّا فِي الْمَعرَكَةِ،

بَيْنَ الدِّمْ وَتَرَابِ مَانِيغُوا؛

وَسَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي الغَبَارِ.

مقاتلٌ يقرأ كتاباً لجون ريد،

أُعْرَتَهُ لَهُ نَوَّاً،

ويتحرّكُ فِي سريرهِ.

تبثح الكلابُ أحياناً

ليحلو ليلُ الريح والمطرِ.

جَمِيعُنَا نَصَمْتُ وَنَحْكِي فِي آنِ مَعًا.
وَأَنَا رَبَّا أَرَدْتُ أَنْ أَسْمَعَ أَكْثَرَ مِنَ الْلَّازِمِ،
لَكِنَّ الْجَمِيعَ يَتَكَلَّمُونَ وَيَحْكُونَ فِي الْأَعْمَاقِ، أَكْثَرَ مِنَ الْلَّازِمِ بَقْلِيلٍ،
لَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْيَاءِ التِّي عَاشُوهَا فِي الْجَبَلِ
مُصْغَيْنَ إِلَى خَرِيرِ الْجَدَالِ وَنَشِيدِ الرَّصَاصِ،
مُسْتَشْفَقِينَ رَائِحَةَ ثُمَرَةِ الْخَوْبُو،
كَثِيرٌ مِنْ تَلْكَ الْأَشْيَاءِ لَا يُمْكِنُ روَايَتُهَا
لَأَنَّهَا مَا عَادَتْ إِلَّا تَرَابًا،
شَجَرًا،
ذَكْرًا بِاهْتَةٍ،
جَسْرًا،
مَدَارِسَ،
عَجُوزًا يَبْتَسِمُ،
أَوْ طَرِيقًا يَصِلُ إِلَى قَلْبِ الْجَبَلِ الْمَعْتَمِ،
كَنَّا نَمْضِي أَحْيَا نَا مُغَنِّيْنَ تَحْتَ الْمَطَرِ،
لَا نَهْمَنَا الْجَرَاحُ فِي الْأَقْدَامِ،
وَلَا الْجُوعُ،
جَمِيعًا كَنَّا مَتَّحَابِينَ، أَخْوَةً
فَجَاءَ وَإِذَا بَنْتَقَةً مِنْ سَحَابَةِ
تَصَلُّ حَتَّى الْأَسْرَةَ،
وَتَتَحَلَّ مَعَ الدُّخَانِ

في السقف،
بينما المطر يصدح
وقصيدي تكبر على الورق
لو اضطررت أن أعود لأقاتل
لقاتل ألف مرأة ومرأة،
ولأطقت الرصاص باستمرار
على أعداء الوطن،
أعداء الداخل والخارج"
تمطر
والمطر ينقر على سطح التوابع؛
من النافذة تدخل رائحة تراب حلوة،
وفي الغرفة تفوح رائحة دخان الثورة.

هذه ليست رسالة

يا أصدقائي في البعيد:
هذه ليست رسالة
بل قطعة من جزيرة
صعب كتابة الرسالة
خاصة حين تكبر النجوم ليلاً
ويدوّي في الدم

أحب الأصوات إلينا،
لا أدرى كيف أبدأ،
فالأشياء تبدأ دائماً ببساطة كالبرعم.
أسمع دقات الساعة في الغرفة الأخرى،
والشاحنات تهز
جدران بيتي.
كان النهار قصيراً للغاية
لأنني لم أعمل كثيراً
(جميعاً هنا نتعلم)
أن نحب الحياة في العمل أكثر وأكثر)
دخان سيجارتي يرتفع بطيئاً في الليل
والنسمة تقترب بطيئة مني،
محملة برائحة الأرض.
فأنا أعيش بعيداً عن الأرض،
بالأحرى أعيش في الإسمنت،
أو في ضجيج المدينة المشبع بالغبار
وفي الأرض تنمو الآن ريح حرّة،
والريح الحرّة في المدينة تجرف الرذالة
نحو أعماق الليل.
(أكتب فأحسن برزانة كلماتي حتى أعمقى
فهي تعيش رزانة لب الثورة

ملفوقة بالرأيات الغاضبة

هنا قلتُ وهذا أقولُه،
يا أصدقائي البعيدين عن هذه الجزيرة
الجميلة مثل نار هائلة
تنتصر على الفقر.
فالأشياء تبدأ دائماً بسيطة كالبرعم،
حين تنافق البذرة.
تتضاعف الكتب بجانبي،
الأشجار تملأ المدينة
والريف يمتليء رويداً رويداً
بالأشياء القوية والمزهرة.
لم أعرف قط كيف أكتب رسالة
وهأننا الآن أقول أشياء غير منسجمة.
يكاد يوجد فوقى نافذتان مفتوحتان،
وأسمع بعض الأصوات.
الحياة تحلو وتزداد عمقاً،
تصبح جميلة وهامسة مثل نهر.
لا أحد يستطيع أن يدمر ما بنيناه،
فنحن متّحدون بقوّة،
مستيقظون وسعداء بقوّة.

لا أعرف ما أقول أكثر من ذلك،
هذا كل شيء اليوم
النجوم الزرقاء تملأ نافذتي،
ورائحة التراب تملأ المكان،
وإلى اللقاء!

بيوتنا

على العشب بين الأشجار،
في الحقل والقرى،
أو في غبار المدينة
تهضي بيotta
جدراناً للسلام
نوافذ للنجوم
حدائق لأطفال يرتدون المستقبل،
بيوتاً لمن عاشوا دائماً في ظلّ اليأس،
بيوتاً لمرق الأيتام البارد،
بيوتاً لرفات المنسيةين،
للمتصيبيين عرقاً، للحالمين،
بيوتاً لمن لم يملكون نوافذ أخرى
غير فراغ أيام بلا خبر،

بيوتاً لمن لم يعرفوا سقفاً غير المطر،
بيوتاً لمن تمزقت أيديهم،
 وأنفاسُهم وهم يبنون القصور للطغاة،
بيوتاً لمن لم يؤمنوا قط بأن من الممكن أن يوجد جدار صلٍ ونظيف،
بيوتاً لأماسٍ يُمزق فيها الأطفال الصحف،
 ولللهوة والأرض تعيق بالفرح،
بيوتاً أشادتها سواعد البنائين من فكر وطوب،
بيوتاً لبنيَّ الحياة الجديدة.

السفن

في خليج هافانا
في موانئ الجزيرة الزرقاء والرنانة،
تدخل السفن المحملة بالأشياء والصادقة؛
أجلس برهة لتأمل أثر مخورها،
لأقرأ أسماءها،
البسيطة والغريبة
منعكسة في الماء
المترعش تحت المساء؛
أجلس برهة لأعلم أنني لستُ وحدي،
وأنَّ أشجاراً وبشراً،

نواخذ ونفطاً،
آلات وأمواجاً ومداخن،
نجوماً ومزيداً من البشر
يحيطون بي.
هنا على جدار الممر البحري،
في خليج هافانا الملتهب،
أرى كيف تأتي السفن من البعيد القصبي
ترسو في هذه المياه،
التي تكون دمي.
أجلس برها لأصغي إلى ضجيج
الشاحنات التي توزع النفط والصادقة
من حي إلى حي.
هنا على جدار هذا الممر البحري،
حيث تتكسر الأمواج أحياناً،
وبتلل قميصي
الأبيض سلاماً وحرية.

□□□

نعيمة،
قصة أمي الطويلة
الكاتب: إديت شاهين

■ ترجمة: وفعت عطافة ■

ولدت إديت شاهين في سانتياغو تشيلي، وهي ابنة لمهاجرين سوريين. درست في دار المعلمين والتعليم والعلوم الدينية في الجامعة الكاثوليكية في سانتياغو تشيلي وميونيخ في ألمانيا. اضطررت بعد انقلاب بينوتشيت العسكري إلى مغادرة بلادها في عام 1973 لتقيم منذ ذلك الوقت في مدريد. كتبت السيناريو الإذاعي تحت اسم إديت كاسانيدا المستعار.

تعتبر رواية نعيمة، قصة أمي الطويلة ثمرة جهود هائلة ومكثف لاستعادة ذكريات ماض يكاد يكون تلاشى بعد سنة عام.

وهانحن نقدم الفصل الأول من رواية: نعيمة، قصة أمي الطويلة، التي تقوم الآن بترجمتها بمعرفة الروائية لنقدمها قريباً إلى القراء العرب.

الفصل الأول
نعمية

إذا كنت تتذكرها، فذكر بها الآخرين.

لويس ثرنودا

كانت في الخامسة عشر من عمرها يوم نادتها أمها بتلك النبرة الرصينة الخاصة بها، الودية جداً والصارمة في آن معاً، أي تلك النبرة التي يستخدمها أولئك الذين يعرفون أنهم سلطاغون على الفور، فلا تقبل جواباً ولا معارضاً، وتکاد تنهي الحديث حتى قبل أن يبدأ... .

— يا فدوى، حضرتِ القهوة وإتي بها للزوار.

كانت جملة بسيطة، أمراً، شبيهاً بأمر كل الأيام، لكن لا فدوى ولا نعيمة ولا الأم التي نطقَت بتلك الكلمات حدستُ الخطورة التي كانت تتخطى عليها؛ حتى نعيمة التي تميزت دائمًا بملكيتها لقوة عقلية تتخطى الحدس الأنثوي البسيط، لم تخمن الخل الذي كان سيحدثه هذا الأمر الخارج من شفتي أمها في حياتهنَّ وحياة كامل العائلة.

لم تستطع فدوى أن تكتم اختلاجاتها. نظرت إلى أخواتها بعيني غزالة مذعورة فوجدت نظراتهنَّ مغروزة فيها — عشر زبرجادات سوداء نفذت إلى روحها — مليئة بالقلق والخبث، حرفتها صاحباتها في اللحظة ليثبتنها على أشغالهنَّ. ودها نعيمة تمكنت من بقائهما ثابتة على فدوى فيquiet الأختان تنظر الواحدة إلى الأخرى، وتحيطها بصمتٍ علمًا بالأفكار العديدة التي ما كانت تجرآن على التعبير عنها بالكلمات.

جميعهنَّ كنَّ يعرفنَّ معنى تلك الزيارة وتلك القهوة، لكنهنَّ لم يجرأن على التكلُّم عنه: كان موضوعاً محظياً، من اختصاص الوالدين حصراً.

وبينما كانت الأخريات يغطين على ضحكاتهنَّ، بمزيج من الارتباك والخجل، شعرت نعيمة بالدم يغلي في صدرها حين فهمت نظرة أختها، ابنة التاسعة عشر عاماً تقريباً، التي تكبرها بأربع سنوات، متسللة إليها أنْساعدها عندما تأكَّدت من عجزها أمام الوضع الذي عليها أن تواجهه؛ كانت على وشك أن تعرف الرجل، الذي جاء يطلب في تلك اللحظة من أبويها يدها للزواج، قبل أن يكون قد رأها، وهو لن يعرفها إلاً عندما ستقدُّم إليه القهوة.

كانت نعيمة تنظر إلى فدوى بملامح مبهمة، بفضول وسخرية، وهي تُفكِّر في داخلها بالوضع: فدوى، الضامرة، الخجولة، المترددة، المُطبيعة والمذعنة، لم ترها ولم تسمعها قط تعارض أو تردد على أمها، وأقل من ذلك على أبيها، ذلك أنَّ هذا كان ينصل أوصاره من خلال الزوجة... ما الذي ستفعله في تلك الحالة بوجهها البريء وعيونها المذعورتين؟ هل ستُطْبِعُ أمر أمها بشكلٍ أعمى بالمتollow أمام الزائر وتقدم القهوة إليه؟ ثم... هل ستقبل ذلك الرجل زوجاً، هكذا والله بالله، لمجرد أنَّ والديها يأمرانها بذلك...؟

كانت الأخنان ما تزالان تنظران الواحدة منها إلى الأخرى، في طقس أبدي من تناقل الأفكار.. دون أن تتكلما.. دون أن تتنفسا تقرباً، دون أن تشـي أية حركة بالقلق الشديد في رأسيهما الصغيرين... كما لو أنَّ أدنى إيماءة يمكن أن تثير نهاية مسؤومة، لدغة أفعى، انهيار جبل جليدي، كانت نعيمة أول من فكَ السحر. هزَّت كتفيها نافضة المسؤوليات التي يمكن أن ينطوي عليها القرار، متصلة منه، لكنها لم تستطع أن تتخلص من النظرة التي أبقتها أختها ثابتة على نظرتها.

كان باستطاعتهنَ أن يتكلمنَ في مناسبات أخرى، م العلاقات فيما بينهنَ، بل وينتقدن بعض العادات القديمة التي تؤثِّر عليهن ويرغبن بتبديلها، لكنهنَ ما كنَ ليتجرأنَ أبداً أن يفعلن ذلك بحضور أبويهنَ، ولا حتى بحضور أخواتهنَ الصغيرات. بالتحديد كانت الحالة تستحق في تلك اللحظة التعليق والنقاش. ستتجدُ فدوى نفسها مجبرة من قبل أبويهما على الزواج من رجل مجهول، دون استشارة مسبقة، وهذا الذي يحدث اليوم للكبرى سيحدث للبنية. كما لن يسألنها عما إذا كانت ترغب بالزواج، أو عما كانت تقبل، عن طيب خاطر، هذا إذا لم يكن بحماس، الرجل الذي يطلب يدها، أو ما إذا كانت ترفضه لأنَّه أكبر منها مرتين، أو لأنَّه بدین، أو شاربيه مريغان، أو ببساطة لأنَّها لا تحبه... .

الحب! من كانت ستجرب على لفظ هذه الكلمة؟ الكلمة الجميلة التي لم

تستطيع شفاههن الطرية والفتية أن تتحرأ على النطق بها، لكنهن يُدغمدنها بأفكارهن منذ أن تعلمن القراءة في كتاب النصوص الأول: الكتاب المقدس. مبشرات الكنيسة، اللواتي كن يلجان إليهن، بدأن تعليمهن القراءة والكتاب المقدس، فاتحات عالمهن على الثقافة والإيمان المسيحي في آن معاً. علمنهن القراءة في أسفار العهد القديم: سفر التكويرين، سفر الخروج وأخرى غيرها، وكذلك أسفار العهد الجديد، الأنجليل والرسائل، بل وحتى سفر الرؤيا، متتجاوزات باستهتار تلك الكتب التي يمكن أن تطرح عليهن أسئلة صعبة، أو توقظ عندهن بعض المشاعر الممنوعة، مثل نشيد الإنشاد، الذي اكتشفته الأخنان يوم تعلمتاه، خلسة، عن ظهر قلب، كي تذكراه حين تكونان وحيدتين وتارقان ليلاً، سائلة الواحدة الأخرى عن معاني: "قومي، يا حبيبي، يا جميلتي وتعالى! ... ثدياك كخشفي ظبية توأمین يرعیان بین السوسن... ..." أنا لحبيبي وحبيبي لي". وكان الكتاب المقدس يحتوي على كتابات مملة جداً، أو غير مفهومة، لكنه يحتوي أيضاً على كتابات رائعة، بل وحتى مثيرة. لماذا كان ممنوعاً الكلام عن هذه الأشياء، بل وحتى ذكرها، إذا كانت كلمات موحاة من الرب إلى مختاريه؟ هل كان أبواهن مخطئين؟ لا، لم يكن الذنب ذنب أبويهن، فهذا التصلب جاء من الماضي، من قرون سابقة، وبالتالي سيدوم قروناً أخرى... لن يرئن هن التغييرات ولن يكن قادرات على الدفع بها، كيف سيجرأن على التقدم خطوة نحو التحرر، إذا كان كلما ظهرت امرأة تتوى الخروج على القمع والتحرر من نيره، يُعاقبُها أبوها بالحبس والعزل، حين يتعلق الأمر بفتاة عازبة، وإذا كانت متزوجة، فإن زوجها يذلّها ويشكوها للسلطات؟ كم من النساء متّن مرجومات أو مجلودات لمحاولتهن التحرر؟ لم تعرف نعيمة أمّا منهن، لكن عماتها وأمهاتها حكين لها ذلك. كانت تفكّر أحياناً أنهن يفعلن ذلك لمجرد إخافتهن والإبقاء عليهن تحت المراقبة. ووصل الأمر بهن إلى القول بأن بعض النساء اللواتي لم يبغين إطاعة آبائهن أو أزواجهن سُلمن إلى الأتراك، الذين كانوا يجعلوهن يقطعن الصحراء حافيات ليسلمووهن لقائهم، المتألف

دائماً لزيادة عدد جواري حريمها.

ومن جديد سمع صوت الأم:

— يا فدوى، هل سمعتِ؟ حضرى القهوة.

تمسكتْ فدوى بعصبية بيدي نعيمة.

— هل تريدينني أن أقدم أنا القهوة؟ — سألت الصغيرة عفيفة، التي لم تكُن تبلغ السابعة.

— لا تحشرى أنت نفسك في هذا — وبختها كريمة، موقفة إليها من ذراعها.

— أريدُ أن أرى الزائر — أخت عفيفة بعنجه.

— يا للأشياء التي تخطر لهذه الصغيرة! — زمرت يولا — ألا تعرفين أنه ممنوع علينا أن نطل على الصالون حين يكون هناك زوار؟

— إذن ليأتوا إلى هنا كي نراهم... — كانت الصغيرة تستند كل احتياطياتها في سبيل أن تتحقق نزواتها.

تدخلتْ كريمة مصالحة هذه المرأة.

— أنت تعرفين أن الزوار لا يستطيعون أن يدخلوا إلى هنا؛ هذا ممنوع أيضاً.

— لكن إذا أراد أبونا... — يدَّ صغيرة أيضاً، أغلقت فمها.

— قلنا لك أخرسي وخلصينا — قالت هدباء هامسة تقريباً في أذن الصغيرة، بينما راحت تحاول هذه التخلص منها، خامشة يدها.

كانت عادة قديمة جداً عند بعض الطبقات أن تبقى البنات داخل البيوت دون أن يطللن ولا حتى عندما يأتي زوار إلى المنزل. وحدهن الصديقات أو القريبات اللواتيكن يذهبن مع أزواجهن للسلام على الوالدين، يستطيعون أن يدخلوا للتعرف على البنات في مكان داخل البيت، حيث يقمن دائماً بعمل ما، لكن الرجال لم يكونوا يتمتعون بهذا الامتياز. لم يكن مسموحاً لهم

الاقتراب من مكان تواجد بنات صاحب البيت، ولا هنّ يستطيعن أن يذهبن إلى الصالون الذي يُدخن فيه هؤلاء ويتداولون الأحاديث "التي لا تصلح كي تلامس مسامع النساء". الاستثناء الوحيد كان حين يحضر طالبٌ يد بهدف للزواج من إحدى البنات، لكنه لم يكن يملك الحق باختيار الأحلّي أو الأذكّي؛ فالشيء الوحيد الذي يستطيع اختياره هو العائلة، وكان يفعل ذلك مفكراً بمستواها الثقافي، والاجتماعي، والديني والاقتصادي. وما إن يتم الاحتكاك الأول حتى يقرر الآباء من سيدمان من بناتها لطالب اليد، حيث يقع الاختيار دائمًا على الأكبر سنًا وطريقة تقديمها كانت بالضبط باستدعائهما لتقديم القهوة للزائر ومرافقه، وهو عادة قسن الكنيسة التي تتّمنى إليها عائلة خطيبة المستقبل. لكن كلا الطرفين يطلب حذراً بكل أنواع التفاصيل، بهدف التمكّن من اتخاذ القرار، حيث كان القس يلعب دوراً حاسماً، آخر التفاصيل التي تتّبع لاتخاذ القرار هو أن يعرف طالب اليد الخطيبة، ليس كي يقبل، إذ عليه ألا يرفضها، أو أن يلطف شرف العائلة، بل ليتم الصفقة بعد أن يجرّب القيبة التي تقدمها هي إليه. تلك كانت الخطوة الأخيرة في طلب يد صبيّة في مدينة حمص، وكل ما عدا ذلك يتم الاتفاق عليه مسبقاً: فصاحب المصالحة يقدم نفسه لأبوي العائلة، حتى دون أن يكون قد عرفهما من قبل، ويعرف فقط، من خلال الأخبار التي تقدّمها له أصدقاؤه وأقاربه، أن الأمر يتعلق بعائلة كريمة، وضعها الاقتصادي جيد ومستواها الثقافي عال، وأن لديها ثمانية أولاد، سبع بنات وابناً واحداً وأن كل البنات يعرّفن القراءة والكتابة، الطهي والخياطة والتطریز والحياكة والقيام بأعمال المنزل. بعدها يقدم له الآباء بعض التفاصيل الحميمية عن الفتاة المختارّة: صحتها، مزاجها، ذكاؤها، انتظام العادة الشهرية عندها – هذه المسألة في غاية الأهمية بالنسبة للذرية – وأشياء أخرى مثل الصداق الذي ستتلقاه هذه وكل ما يبدو للمُتقدّم مهماً أن يعرفه. وفي الوقت ذاته يُعرّف هو بنفسه، وعائلته، باسمه ومكان ولادته، عمله وعمره، ورأس المال الذي يملّكه، والمكان الذي سيقيم فيه؛ كما يجب أن يكون مستعداً للإجابة على كل الأسئلة التي يرغب

والدا الخطيبة المستقبالية أن يطرحاها.

في هذه الأثناء كانت فدوى ما تزال تنظر إلى أخواتها اللواتي عدن ليحننن رؤوسهن فوق أشغال الإبرة. كن يُشكّلن لوحه جميلة من الفتيات، بشعرهن الأسود، شبه الأحمر تحت خيوط شمس مساء الشرق، بأنوثابهن الطويلة، مختلفة الألوان، محاطات ببنات ذلك الرواق، الشاهد على الكثير من الضحك والزفرات والأسرار والأسئلة التي لا جواب لها.

كانت ستائر السميكه التي تفصل الرواق عن بقية المنزل تهتز إلى هذا الجانب وذاك تحت ضغط يد قوية. ارتعشت فدوى حين رأت أمها وخفضت عينيها. نظرت الأخوات إلى الأم حين قالت بصوت بدا صارماً:

— فدوى! نذينك كحي تحضرني القهوة لزوارنا، ألم تسمعي؟

قالت ذلك وراقبت ابنتها، التي ارتبت وسقطت منها كتب الحرير التي انفككت على الأرض. شعرت بالاعتزاز بها حين رأتها بذلك الرقة والخجل والجمال والحلو، كما يجب أن تكون الفتيات المهدبات في منزل كريم وصارم. لقد عملت سنوات طويلة في إعداد بناتها من أجل الخطوة التي ستقوم بها الكبرى الآن، وهي لن تسمح لأي شيء أن يعيق سير حفلة طلب اليد.

كانت الإبنة الكبرى تعارك بين النحيب وجواب لا تجرؤ على إعطائه لأمها، أو بالأحرى سؤال لا تجرؤ على صياغته. كانت تعلم تماماً أن عليها إلا تصوغه، ما من صبيّة تملك الحق بطرح أسئلة عن الرجل الذي يطلب يدها، ولا حتى عن اسمه.

— لكن، بنيتي... فدوى... ماذا بك؟ هل يعني أنك لن تطعمني. هذا شيء مهم بالنسبة إليك وللأسرة كلها...

— لا أستطيع.. لا أستطيع!.... — قالت منتحبة، مغطية وجهها بيديها.

— هيا، يا بنيتي، تعالى إلى هنا، اجلس لحظة، وقولي لي، ألا تريدين

أن تتزوجي، تكوني أسرة، يصبح لك بيتك الخاص، أولادك، زوجك، حياتك الخاصة؟

— أنا أتزوج؟ يكون لي بيتي الخاص، ... يكون لي زوج.. أولاد —
كررت فدوى، مطلقة مع كل وفقة نحيباً واهناً، تُمطهِّه عدماً، آملة أن تتم أمها الجمل بمزيد من التفاصيل، لكنها لم تتمكن — مازلت صغيرة جداً... — دافعت عن نفسها.

— صغيرة؟، قريباً ستتمنى التاسعة عشر، ما عدت صغيرة. فالبنات يجب أن يتزوجن في الرابعة عشر أو الخامسة عشر من أعمارهن؛ وبعد هذا السن يبدأ الناس يفكرون أن بها عيباً ما أو أنها عاقر، أو على كل الأحوال تبقى منبوذة. هل هذا ما تريدين؟

بقيت فدوى ترتعش ونظرها مرفوعاً بخوف إلى أمها، تكتم آلاف الأسئلة الممئونة، مئات الاحتجاجات، الرغبات العبيضة بمعرفة ما ترغب بمعرفته كل الصبايا في مثل عمرها. بدا أن الأم تفهمت وضع ابنتها، أخذتها من يدها الرقيقة، نظرت إليها بعمق. إلى تبنك العينين السوداويين اللتين بدتا ذهبيتين تحت انعكاس الشمس، اللتين رأت فيهما — كما لو في مرآة — وجهها ذاته، وجه المرأة التي ما تزال شابة، على الرغم من سنواتها الأربعين وقالت لها بصوت خافت:

— هل تريدين أن تبقى عانساً للأبد هنا في البيت، ترعين والديك وتقومين بالأعمال المنزلية؟

— نعم، يا أمي، أريد أن أبقى معكم! — قاطعنها بحدة وحماس حقيقية. لقد وجدت فدوى مهرباً.

— ألا تريدين أن تستغلـي هذه الفرصة كي تتزوجي؟ من المحتمل ألا تُتاح لك فرصة أخرى مثل هذه. لا تهزـي رأسك ونقولـي لا. وضـتحـي لي لماذا لا تريدين.

— أنا خائفة، خائفة جداً...

ضحك الأم، موحية بأن هذه حماقة، على الرغم من أنها تذكر في داخلها أنها هي نفسها لم تخف وحسب بل ارتعبت حين فرر والدها تزوجها. صار ذلك مثل حلم بعيد، يكاد لا يصدق... أن تكون قد شعرت بالخوف أمام حالة بسيطة بساطة العرس، أمام رجل وديع وعطوف كزوجها. لكن رد فعلها السريع وشخصيتها القوية ساعدتها على أن تصبح شيئاً فشيئاً وفي سنوات قليلة المرأة الناضجة، الزوجة المحبة، والقوية والمسطورة في آن معاً، الأم المتقانية وإن كانت متصلبة وصارمة، مدمرة أملك الأسرة والمرأة الثانية — الأولى كانت أمها نفسها — في حمص التي تدير شركة الأسرة، صناعة الحرير. كل شيء راح يتأكد بيته والآن.. عادت إلى الواقع حين سمعت ابنتها تردد:

— أنا خائفة جداً.

— خائفة؟ يا ابنتي، يا نور روحي، صرت امرأة وما عاد عليك أن تخافي من شيء. الحياة تقدم لك فرصة: رجلاً جدياً وشاباً، ناضجاً وغنياً، رجع لبلده فقط ليبحث عن خطيبة. من أجل هذا جاء من مكان بعيد جداً واختارك أنت، شيء رائع. أبوك تحادث معه، بحضورى، وبدأ له رجل جيداً، مهماً، سافر كثيراً إلى بلاد مختلفة ويعرف كيف يحكي الروائع. هو الآن مع والدك ينتظر القهوة. هيا، شدئي حيلك وساساعدك على تحضيرها، لكن عليك أنت أن تقدميها له. حضرى تلك الصينية.

أطاعت فدوى أمها كأنها رجل آلي، وهي ترى كيف راحت أمها تحضر القهوة بمهارة وحين جهزت...

— لا أستطيع، لا أستطيع... الموت من الخجل...

فقدت الأم هذه المرأة عنوبتها، نظرت بصرامة إلى ابنتها وقالت لها: — ليس على أن أتحمل هذا. عليك أن تُطيعي أوامر أبيك. هو قبله صهراً مستقبلاً، وقال له إنه سيراك حين تحملين القهوة. دعى خوفك

وخلال جانبها، ما عدت طفلة. أخريات، بعمرك، متزوجات وعندهن ولد أو اثنان... ما عليك فعله هو أن تطيعي الآن بالذات، قبل أن ينفد صبر أبيك.

ارتمت فدوى على المسائد باكية، وتسللت مجھشة:

- من فضلك، انتظري قليلاً. اذهب إلىهم، يا أمي، دعيني أرتاح قليلاً.
يداي ترتجفان، سيسقط كل شيء منها. حين أهدا، أروح.
- حسناً، لكن لا تتأخرِي. سأقدم لهم في هذه الأثناء الترجيلة. لا تنسِ
صينية البقلواة والمناديل.

من الرواق سمعت خطوات الأم وهي تبتعد. وما إن اختفى وقُعْها حتى سارعت نعيمة بحذر، تبعتها هباء إلى خارج الرواق واقتربت من الستائر السميكة التي تسد مدخل الصالة. بقيت فدوى في الرواق معانقة الصغرى كي تسندها. بقيت الأخنان جامدين، صامتتين، كائنتين نفسيهما ومحاولتين أن تسكنا خفقات قلبيهما خوفاً من أن يسمعهما أبواهما والزائر الغامض، تضع كلّ منهما يداً على فمها وأخرى على قلبها. مرّت لحظة لم يكن فيها غير الصمت. كانت الأم تشرح لزوجها الأمر هامسة في أذنه، فبدا متقدّهاً ومنزعجاً في آن معاً: ثم وبعد أن تبدلت قسماته توجه إلى طالب يد ابنته:

— عذراً لأنّ ابنتنا لم تحضر في الحال. تقول زوجتي إنّها خائفة ومستحببة كثيراً. في الحقيقة كان هذا مفاجئنا لنا وأخذنا جميعاً على حين غرة. نأمل ألا يتناقض هذا مع مقاصدك ومساريك. أرجوك أن تنتظر القهوة برهة أخرى. في هذه الأثناء نستطيع أن ندخن الترجيلة. التي جاءتنا بها زوجتي.

— لا تهتم. على العكس، صدقني إنّ هذا يُفرحني. لهذا بالتحديد جئت من ذلك البلد بعيد لأخطب من بلدي. أريد امرأة حية، بسيطة ومطيبة. أنا سأساعدك على أن تتضج وتصبح جريئة، قوية العزيمة ونبيهة. أنا بحاجة لأن تكون زوجتي امرأة كاملة.

وبينما كان الرجل يتكلّم، تبادلت الأخن النظرات بعيونهما المعبرة التي توسيع حدقاتها، بينما ارتجفت أصابعهما وهي تضغط على شفاههما. كانتا نشيران بخفق قلبيهما كأنهما يريدان أن يخرجَا من صدريهما.

— له صوت فرخ ورنان — همسَ هباءً.

— صوت فولاذى — قررتْ نعيمة ثم حركتْ بداعٍ لا يمكن ضبطه طرفِ ستاره بنعومة وتأملتْ لثوان المشهد الذي كان يدور في الصالون، وحين توقفتْ نظرتها على طالب اليد، أمسكتْ أنفاسها... شيء غريب كان يدور في داخلها لم تستطع التحكم به فتركستِ ستاره تسقط بحذر شديد وعادت إلى الرواق على رؤوس أصابعها، مضطربة مثل أختها هباء، التي كانت تتبع خطواتها.

هناك وجدوا فدوى أكثر هدوءاً، لامعة العينين، محمرة الخدين، منكوشة الشعر، وهو ما جعلها من الجمال بحيث أن نعيمة فكرتْ: لماذا يقولون إنني أجمل من فدوى، إذا كانت هي بهذا الجمال؟

— يا فدوى، قولي لنعيمة أن تحكي لك، فقد رأيت كلَّ شيء — قالت هباء بعصبية.

— وهل دخلتْ؟ كيف هو، بدین، نحيل، عجوز، شاب؟ — سألَ جميعاً.

— لم أدخل إلى الصالون، لأنَّ أبي سيعاقبني.

— احكِ لنا ما رأيْتَ وخلصينا — الحزن جميعاً.

اقتربت فدوى بوجهها شبه المتبَلَّ من نعيمة برفقة وقالت لها ممسكة بيدها:

— هل صحيح أنك رأيْته؟ كيف هو، كيف يتكلّم، كيف يبتسم، كيف....؟

— إنه عجوز — قاطعنها نعيمة التي بدا أنها لا ت يريد أن تتكلّم أكثر من اللازم — مثل العم حنا.

— لكن عمر العَمَ حنا خمس وعشرون سنة...

- هذا هو، يبدو في الخامسة والعشرين من عمره. ليس بدينًا ولا نحيلًا، لا طويلاً ولا قصيراً...

— کیف ہو وجہہ؟ — سائل فدوی.

— وجهه عريض عند الجبهة، لكنه يدق في الأسفل. له شارب مفتول إلى الأعلى، شديد السوداد، مثل شعره.....

وَعِنَاهُ؟

– جمِيلَان، داكنَان وَمعبرَان. وجْهه كَلَّه مُعْبَر ولطِيف، لكنه لا يبتسِم. صوْته فولاذِي ويتكلّم بهدوءٍ كَبِير. قال: يشرفني جداً أن تدعوني لتناول فنجان من القهوة في بيتك الْكريم الذي أتمنى من الله أن يباركه في كل لحظة. ويسعدني أن أدخل النرجيلة ريثما ننتظِر... القهوة" – أنهت نعيمة مُقلدة آيات.

— كم تحسنين تقليده — قالت هدية وضحكـت الآخـريـات.

— هذا يعني أنه صار على أن أحمل إليهم الصينية — قالت فدوى وهي تعتصر يديها المرتجفين. لا أدرى ما إذا كنت أستطيع تقديم القبوة إليهم.

— عليك أن تفعلي، وإلا فستسببين الإهانة لبابا — قالت واحدة منهن.

— والزائر سيد هب ميانا — قالت أخرى:

— ولن تجدى خطيباً بعدها أبداً — قالت ثلاثة.

— لكن، يا إلبي، ماذا باستطاعتي أن أفعل؟

— لماذا لا تقولين لي ما هي مشكلتك؟ لا أظن أنك خائفة ولا مستحبة.
قلت هذا كي تؤثرى على ماما. — علقت نعيمة.

- صحيح. على الرغم من أنك تصغريني بأربع سنوات، كنت دائمًا أذكي وأكثر حزماً مني. أظن أنّ باستطاعتك أن تفهميني.. أنا أحب أن

أتزوج من رجل يكبرني بسنة أو سنتين... يختارني وأختاره، لأننا نشعر بأنفسنا مشدودين الواحد إلى الآخر، لأننا نحب بعضنا بعضاً، وليس لأن آباءنا يُجبروننا على ذلك..

كانت الأخوات يصغين إليها بصمت مطلق، وعيون، كبيرة بحد ذاتها، تتفتح أكثر في كل مرة تُعبر فيها فدوى عن أوهامها.

— بودي أن يحكى لي هذا الرجل أشياء عن نفسه، وأحكى له أنا أشياء كثيرة عن نفسي، ما أحبه، ما آمل به من الحياة... وبعد زمن من تعارفنا، نتزوج إذا اتفقنا... — أنهت فدوى جامعة في عينيها كل الحب الموجود في داخلي.

— لكن، يا فدوى، هل تعرفين ما تقولين؟ — استطاعت نعيمة أن تقول أخيراً. أتفهمك جيداً، لكن هذا مستحيل... تعرفين ما علمنا إيه أبوانا. وتعلمين أيضاً أن الخطيبة في السابق كانت لا تعرف العريس فقط ليلة الدخلة. على الأقل أنت سترفينه قبل ذلك... الآن بالضبط، حين ستأخذين له القيهوة.

كانت الأخوات الأخريات ينظرن إليها فاغراراتِ الفم. لم يخطر ببالهن قط أنهن سيسمعن مثل هذا الحوار داخل جدران ذلك المنزل، أكرم بيوت المدينة كلها، كما كانت تقول أمهن.

— آه، يا نعيمة! ظنت أنك فهمتي! — أنت فدوى — لا أستطيع ولا أريد أن أخذ القهوة. لن أظهر في الصالون، سأمرض، سأقوم بأي عمل، سأكسر الأواني، أطفئ الشموع، أتظاهر بنوبة كيلا أذهب إلى الصالون. ألا تفهمين؟ لا أستطيع...

— لا تستطعين ولا تريدين... حسناً — شجعتها نعيمة بشهامة — لا تهتمي. إذا كنت لا تستطعين فأنا سأفعل ذلك.

— صحيح؟ هل ستفعلين هذا من أجلي؟ هل تعرفين كيف سيكون رد فعل أبيينا، سيشعر بالإهانة وسيعاقبنا. وسيذهب ضيفنا مهاناً، سينكلم عنـا

وسيعلم كل الناس بذلك...

— لكن ماذا تقولين، يا اختي العزيزة؟ لن يهان أبوانا. وزائرنا لن يذهب مهاناً، كما لن يتكلموا عنا — ردت نعيمة بغموض متحفظ.

— لا أفهم عليك. قلت لي إنك ستأخذين القهوة بدلاً عنّي. قلت ذلك، أليس صحيحاً؟ أم إنك صرت تخافين الآن؟

— طبعاً سأخذ القهوة إلى الصالون، وسأقدمها لهم. أنا لا أخاف ولا أجل. أكرر، يا عزيزتي فدوى، سأقدم القهوة، أعدك بذلك. لكنك أنت من سترزوج منه.

وأخذت الصينيين ببراعة، بعد أن جمعت جدائلها في أعلى رأسها، وتوجهت بخطوات سريعة إلى الصالون ورشاقة غزاله، تتبعها نظرات أخواتها الخمس غير المصدقة والخائفة، وعلى الرغم من العصبية إلا أنهن لم يستطعن إلا أن يعجبن بقامة نعيمة المشوقة وخصرها الرقيق وملاحة وركيها.

توفيت أمي، نعيمة، يوم الثاني عشر من نيسان من عام 1989، في سانتياغو تشيلي وهي بطلة "ذكر ياتي عن الزمن القديم"، لأنها ملأت وتملأ طفولتي، ومرأهقي ومرحلة نضوجي كلها. لم تملأ شبابي لأنني ابتعدت عنها متّعة أو هامسي، التي لم أثر عليها قط. والآن وأنا أصل إلى عمر النضج تستمر بجانبى؛ على الرغم من غيابها في الماورة، أشعر بها، أقرؤها في الرسائل التي ما أزال أحتفظ بها، وأستمع إليها في الأشرطة التي سجلتها في تشيلي كي ترسلها إلى مدريد منها أن وصلت إلى هذه المدينة في عام 1973 وتكرر على، فيها جميماً، قصص حياتها الطويلة ذاتها، التي امتدت منه عام. لأن نعيمة أتمت يوم الثاني عشر من أيلول من عام 1996 المئة عام.

قبل مئة عام، في الثاني عشر من أيلول من عام 1896 وفي مدينة سوريا جميلة تسمى حمص، ولدت أمي نعيمة خوري، زوجة والدي يوسف مطانيوس، الذي لم أعرفه، لأنّه توفّي وعمره لم يتجاوز أشهرًا قليلة، لذلك لم أملك أخوة أصغر مني، لكنّي أملك ثلاثة عشر أخاً أكبر مني. أي أننا كنا سبع بنات وسبعة ذكور، ولو لا أنّ أمي ورثت عن جداتها بعض الضعف تجاه تربية الذكور، فقدت الجميع تقريباً عند ولادتهم أو بعدها بقليل، ولم يعش منهم غير واحد إلى جانب سبع بنات، يكرّن في حياتهن ذاتها تجربة أمّهن من حيث عدد الأولاد الأحياء.

□□□

مختارات

من شعر الشاعر التشيلي من أصل عربي: محفوظ مسيس

■ ترجمة : بهاء العنبي ■

ولد في إيكينك يوم 19 آذار 1916. درس في مدرسة إيكينك الإنكليزية وكان عصامياً في تحصيله الأدبي والثقافي. تزوج من الرسامه لو كود روخا، ابنة الشاعر بابلو روخا. أدار نقابة الكتاب بين عامي 1945 و1948 وكان واحداً من مؤسسي وكتاب جمعية كتاب تشيلي في عام 1955. كما رأس معهد الثقافة التشيلي العربي.

كتب القصة والشعر والمقالة. من أعماله:

الثلاثة (دراسات) 1943. بهائم المبارزة (شعر) 1949. والـت وايتمان، صاحب رؤى لونغ إيسلاند (دراسة) 1953. أحـلـام قـاـيـيـن (قصص) 1953. سـوـنـاتـاتـ الـدـيـكـ الـأـسـوـدـ (ـشـعـرـ) 1958. أساطير المسيح الأسود (شعر) 1963. كتاب النجوم المنطفئة (شعر) 1964. انتخاب المنفي (شعر) 1981.

عارٍ

عند حافة هذه الجبال القاسية والبيضاء،
أنا

محفوظ مصيص
خثرة فلسطين في القارة الأمريكية،
ابن العالم الثالث،
العين الثالثة،
هذا القمر الفارع،
أرفع صوتي، مثل مهر في وجه السماء المظلمة.

سيرة مطلقة

1942

من بهائم المبارزة
بهائم أمنيتي
تبحث عن وادي الأمير، الذي يعيش برئة تم.
سکران أنا بنبيذ النظير، النبيذ المسلح
بالذكريات والرماح.
انظروا إلى عاريأ. سلاحي الوحيد القبلة،
يداي لا تكادان تتسعان لموت شاعر.

وأكثر من ذلك، أية رائحة ثعالب تُعطر أصداغكم؟
لماذا هذه الطيور السوداء فوق مسكنكم.
روحى لا تحتاج غير الحب
والحسيش الطيب الغافي في عيونكم.

لَكُنْ أَيْهَا حِجَارَةً، أَيْ إِرْثَ، أَيْ حَظًّا مَشْؤُومً،
أَيْهَا كَلَابَاتٍ تَشَدَّنِي مِثْلَ كَلْبٍ
إِلَى النَّمَثَالِ، إِلَى حَافَةِ هَذِهِ الْغَابَةِ الْمَلْعُونَةِ؟
أَسْبَرَ الرَّحَابَةَ، الْمَسْوَخَ النَّائِهَةَ
الْمَرْبُوتَةَ إِلَى السَّمَاءِ؛
إِلَى النَّجُومِ الَّتِي تَسْقُطُ فِي الْبَحِيرَاتِ الصَّغِيرَةِ.

لَكُنْ، آهُ، فَالْأَغْلَالِ تَشَدَّنِي بَعِيدًا
إِلَى حَيْثُ النُّورِ يَعْرَكُ
مِنْذُ دُورَاتِ مِنْ الْغَابَاتِ وَالسَّنَينِ،
وَالْأَسْمَاكِ تَسْقُطُ مِنْ شَدَّةِ الْعَطْشِ لِلطَّيْرَانِ.
فِيمَا وَرَاءِ الْفَضَاءِ الإِلَهِيِّ الْمَخْمَنِ
حَيْثُ تَنَكُّسَرُ أَجْنَحَةُ الرَّبِّ:
أَنَا مَشْدُودٌ إِلَى طَحَالَبِ رُوحِيِّ السُّودَاءِ.

البحث عن الأمير المذبوح

1942

فَتَشَوَّا عَنْ قَلْبِي
فِي نَزْلِ الْأَمْرَاءِ الْمَيِّتِينَ.
فِي أَعْصَابِي يَتَغَذَّى نَشِيدُ فَهُودٍ
وَفِيهَا دَلْفِينٌ غَافِ عَنْ حَافَةِ الْمَلْعُونِ.

لكن قولوا لي، أين الأمير الذي التهمه اللبلاب،
 سرواله القطني الأبيض،
 نداء النقى الملتم
 أنا أشك بالكونت ذي العينين مختلفتي اللون،
 القائد الروماني المتجمد والأسماك التي يغذيها ليلًا كفن الجب.
 ابحثوا في أي صهريج في أي مستقع نن
 مثل زهرة مصباح بعيدة في الحياة
 يتزاح، يتنهى ويهز عنقه المذبوح!
 أية رياح ضنك تزمر في حقول الحور؟
 من يبكي الأمير، قولوا لي من يبكيه؟
 في أحواضه فضاء يتسع للظلال، السماء، الذئب والهدد؟
 هيكله يتفسخ في كوة من رصاص، فاحموه.
 فأنا لا أستطيع، فيدائي مشغولتان بالحلم
 وغالب الحلو يغسل الخاجر القديمة.
 أنتم، يا من تمرؤن بهذه الكوة، اطرقوا الباب.
 فأنا الأمير المحروم من الحقوق.

القصيدة الثالثة

أنا، محفوض مصيص، العبد،
 المهرطق ذو الجلد الأسود،

المجنون، الهارب من الجنديه،
الساذج المتجمد تحت الثلج.
أخفي أسناني، أسنان التيس، وذيلي ذيل الملك البابلي،
بينما أُسیر في المدينة بجانب النهر الضيق.
بين الزيت الضارب للسوداد،
يعبر شبحي السوداوي المزاج المستنقعات،
يعوي على الجلة القرمية
بسترتي، ستة الميت الداكنة.
تستطيع أن تلمس وجهي، فراشة عظامه البعيدة.
وجهي، وجه الصنم يبقى
ضائعاً في أكياس الليل، دونما خيار.
تهت ألف سنة بعيني البائسين، أكلت تحت الأسوار
وذات فجر شرعت أغني بصوتي الضخم، صوت القائل،
أكتب هذه الطقطوقات، طقطوقات الحدادين القدماء.
كإله سماوي شاحب وصغير
أُسیر الآن في العالم بعيني، عيني الكلب،
أنكس التراب، بين الحشرات ونباتات الشقار المتفسخة،
باحثًا عن رأسِ حبيبِ
وجه ضائع منذ زمن طويل.

القصيدة 18

على هذا القلب، الذي حنته الحجاره،
على هذا الصدر المتأكل،
كنتُ أخفى وجهي في الطفولة العاريه،
حين كان غراب الليل الطويل،
ونوافيس الحياة الأخرى تصدع أحلامي الهمستيريه والعاصفة المبكرة.
أحدّ كان يضع أصابعه على مطرقة الباب الغليظة
يطلّ بقرنه المحاط بالحباحب،
وضحكته الشبيهة بعرشة من رماد بارد،
ويرمي على السرير عقرب ظلام.

في كل صباح كنتُ ألم جثّي،
تلك الأصابع الجافة، مثل زهرة صفراء،
الشفاه، التي لا يمكن العثور عليها الآن،
كانت تشعّل فتائل عيني الحزينة.

أنا المحارب

من شهادة على الحجر (1971)

ما عدتُ أدرِي كيف أعيش
متلعثماً بهذا اللسان، المجهولة لقلبي،
اللسان الصلب والسائل المتاجج السافر،

لسان القدس المهان،
الأجيال التي هددت البحر فوق عظم الجوع الشاحب.
في لغنى جرذان ومحنولية؛
مطر.

أسنان، شفاه صفراء،
مصباح قاتل مثبت بالباب.
وذات ليلة دفنت
أبي. سرتُ وحيداً.
دائماً كان هناك ميت
في كأسى،
نظرة،

قبرة تبكي بأكثر اللغات غموضاً.
مزقتْ حذائي
وأنا أسير.

وندلَى الفقر من عنقي مثل إوزة بريمة.
ومن قلبي
انبثق
دم أسود،

كما من طفل مشنوق،
قليل من الماء وهذا النبع الأبدى، تبغ محارب هذا العالم.

□□□

**مختارات
من شعر الشاعر التشيلي من أصل عربي:
تبيودور السقا أبو عبيد**

■ ترجمة : وفعت عطافة ■

ولد في سانتياغو يوم 25 تموز 1958 درس تصميم الديكور في تشيلي بدأ اهتمامه بالأدب مبكراً. يمارس الرسم وشارك في معارض كثيرة فردية وجماعية من أعماله تعلم الموت (شعر) 1983 ريح بلا ذكرة (شعر) 1984

عودة

مررت الطفولة سريعة،
مخلفة نفقاً
أعود إليه أحياناً
كي أدمل الجراح.

وقتٌ في جهَّامٍ آخرٍ

إلى أرتور رامبو

أيها الموت،
يا وحشة البشر الكونية،
يا يد الوجود الحذرة،
خذ روحي إلى جحائيم أخرى.

شرفة

تعبر سحائبُ
جياد دانتيَّة،
أسماك جبارَة
طيور ضائعة.

كل شيء يمر من هنا
من هذه الشرفة المُضطجعة
بدقة دينية.

الثواني:
دلف في الرأس
حيث ينزلق الوقت
قطرة فقطرة.
كيف ننشر الأجنحة؟

كثيرة القصبان!
عطش العصافير!
بنوا بيتنا
بالقرب من الطريق
الذي يقود إلى الموت...

4

مرّ البشر
السفن
الجبال
كل شيء راح يرتفع بعيداً
عن درجات الموت، ملامساً في الأبدية
خطّ النوّاسات.

9

جيوبوي مليئة باللؤلؤ
والألحام
التي على أن أصلقها.

□□□

**مختارات
من شعره:
فريد عيد نصار**

■ ترجمة: رفعت عطفة ■

ولد فريد العازر عيد نصار، الشاعر التشييلي من أصل عربي في تالكاهوانو يوم 26 كانون الأول من عام 1952. درس التعليم باللغة الإسبانية في جامعة تشييلي قرأ بودلير وأبولونير ورامبو ومalarمييه وكان أكثر من أثر به هو الشاعران الإسبانيان ليون فلبيب ولوبركا من أعماله:

في نهاية الخيال حيث تبدأ الوحشة (1977)

وجوه الصمت (1978)

اعترافات مرتد (1979)

نشيد سينفوني - مسرحي (1981).

رحمة

من لا ينتظر النصر مهزوم!

(ليس شهيداً من يصل إلى جلجلته

دون أن يقاتل وهو في الطريق إليها).

أصنعُ تابوتاً من أقوى أخشاب شعبي
كي أكبر الدبابات في صهاريَّ،
أو في الخنادق ذاتها التي شفى فيها الموت غليله طوال قرون.
جنت أطلب الرحمة:
رحمة بالأنهار!
رحمة بالمعامل!
رحمة بهذا الكتاب
الذي أثار مشاعر أجيال!
رحمة بالحب
حتى ولو كان لضغينة
هذه المرأة
التي تركتني
وحيداً
أمام كون عينيها!
رحمة!
حتى ولو للقبل الخائبة
أو لأكثر الرغبات جنوناً.
رحمة بالرسائل
التي تأتي بآخر الأخبار
وبالأيدي التي تنتظر متلهفة!
رحمة

خاصة بأولئك الذين ليس عندهم بعد.

جيل

ولدنا
حين قرر
أجدادنا — سادة الغابة —
أن يُقرّبوا بين مساكنهم
ليتحدىوا قليلاً
في نهاية النهار.

خطاب مُمل

إلى الشعب المابوتشي
لم أكُن أنظف عيني
من غبار الهزيمة
حتى وجدت نفسي من جديد
مع النصر.

دفاعاً عن كولون

لمسستان أو ثلاثة لمسات
لم يكن الذنبُ ذنب كولون.

هو فقط بحث عن التوابل
عن لمستين أو ثلاث لمسات لمائدة السيد.
وعثر على أمريكا:
طبق حقيقي عظيم
بلا توابل،
بلا أملاح ولا فلفل أسود.

□□□

رضوان نصار⁽¹⁾

"عمل متهافت"

رواية

■ ترجمة: علي إبراهيم أشقر ■

نعرض في هذه الصفحات لكتابتين أمريكيتين من أصل عربي.
أولهما "رضوان نصار" روائي وقاصٍ برازيلي من أصل سوري لبناني،
لخصنا إحدى رواياته "عمل متهافت" وترجمنا صفحات منها. نلمس عنده نظرته
القاتمة لجيل المهاجرين الأول الذي ظل متشبثاً بعاداته وتقاليده، خاصة سلطة الأب
الطاغية في الأسرة.

وثانيهما "ماتياس رفيدة" الشاعر والناقد والباحث وأستاذ علم الجمال ونقذ
الشعر في جامعات الشيللي، وعضو المجمع العلمي في ذلك البلد. وهو من مدينة
القدس ترجمنا بعض قصائده. وهو على عكس الأول يبدى إعجابه بملحمة هؤلاء
المهاجرين الرواد جوابي الآفاق.

(1) هو ابن مهاجرين سوريين - لبنانيين، ولد في بيبلوراما وهي إحدى المدن الصغيرة
في ولاية ساو باولو في البرازيل. عمل في مجالات عدة، وسطع نجمه في دنيا الأدب
1975 بظهور هذه الرواية "عمل متهافت". وله بعض الأعمال الأخرى منها "خصلة
غضب" وهي قصة طويلة.

والجامع بينهما الأصل المشترك، ونشأتها في مدن الأقاليم الصغرى ثم الانتقال إلى العواصم.

على إبراهيم أشقر

تتأسس الرواية على محورين اثنين: تداعي الأفكار والمونولوج في الجزء الأول (الرحيل)، وعلى الحوار والحكاية في الجزء الثاني (العودة). بطلها آندريه المراهق المصاب بالصرع يهجر البيت فراراً من أسرة بطريركية حيث سلطة الأب ليست محل نقاش، وهي تقوم على الأوامر والتواهي وظلمة الجسد ونور الروح وأداء الواجب ووحدة العائلة والمائدة المشتركة، حتى "حول البيت إلى معبد"، أما هو فيمثل الوجه الآخر للأسرة، الوجه المتواري في الظل والمستبطن في الرياء.

تبداً الرواية منذ منتصف زمنها، أي منذ وصول الأخ الأكبر الذي تقارب سلطته سلطة الأب، إلى البنسيون ليعود بالابن الضال إلى الحظيرة. خلال اللقاء ورحلة العودة، نتعرف من خلال تداعي الأفكار على طفولة آندريه وعلى أفراد أسرته وعلى مناظر المزرعة وأدوات الحياة اليومية.

عودة الخروف الأسود إلى الحظيرة لا تشير إلى تغير ما في موقف الأب الذي لم "يتعلم شيئاً ولم ينس شيئاً"، نلمس ذلك من خلال الحوار بين الابن وبين أبيه الذي يعود إلى نغمته القديمة في وحدة العائلة والأرض والعمل وتبليان مقدار ضلال ابنه وانحرافه عن سواء السبيل، خاصة أنه كان قدوة سيئة لـ"لولا" أخيه الأصغر الذي صار يفكر هو الآخر بالرحيل. وتنتبئ الرواية بمشهد مأساوي أثناء حفلة رقص تكرر مررتين في الرواية: في نهاية الفصل الخامس منها، وفي خاتمتها، لكنها هنا تتوج بقيام الأب بقتل ابنته "آنا" إثر وسوسة الابن الأكبر في أذن أبيه أن علاقة عاطفية تربط بين البنت وبين أخيها آندريه. وتطلق من الصمت الكثيف الذي حل إثر تلك الفعلة الشنعاء: "صرخة كأنها صرخة طلق أو صرخة وليد:

أبي!

وتنطلق من صوت آخر، من عواء كهفي مملوء باليأس
أبي!
وتنطلق الآلة الضعيفة من كل صوب: من روسا، ومن زليخا وهدى
أبي!
وكانت نغاء مخنوقة
أبي! أبي!
أينأماننا؟ أين الحماية لنا؟
أبي!
ورأيت لو لا مرغاً في التراب:
أبي! أبي!
أين وحدة العائلة؟
أبي!

ورأيت أمي وقد طار لبها، تتنفس ذواب شعرها.. وراحت تنفَّ بلغتها
الأصلية مطلاقة نحيباً عمره آلاف السنين ما زال يجوب شواطئ البحر
المتوسط البائسة: وكان في صوتها كلُّ، وكان فيه ملح وكان فيه ألم
الصحراء الرملية!"

في هذه الجملة الأخيرة نلمح الصراع بين جيل المهاجرين الأول المتمسك
بعاداته وتقاليد الشريعة وبين جيل الأبناء الذي يريد أن ينفتح على عالم جديد.
يتكئ الكاتب في ذلك على علم النفس: الكتب وعقدة أوديب في شكلها غير السوي
وعشق المحارم، إلخ..

وفي الختام، تمثل الرواية من جهة الأسلوب مغامرة يحاول فيها رضوان
نصران أن يبتدع لغة جديدة وأن يطابق بين بنية النص والعبارة. وقد فرض
المونولوج وتداعي الأفكار ايقاع النص المتواصل من غير وقف ولا انقطاع، وإنما

هي جمل متتابعة تشكل فصولاً قصيرة تبلغ أحياناً صفحات معدودات، وأحياناً نصف صفحة فقط.

وقد عربنا منها بعض الصفحات عليها تعطي فكرة عن أسلوبها وتأثيرها الفنى.

**

العينان محدثتان في السقف، والعرى في الحجرة؛ الحجرة الوردية والزرقاء أو البنفسجية منيعة، والحجرة فردية، عالم، حجرة كائنة، حيث تنكمش في راحة اليد بين فترات القلق المقطعة عقدة شريط غليظ القوام، على شكل وردة بيضاء يائسة^(١)، لأن بين الأغراض المقدسة في الحجرة الأغراض الشخصية أولاً؛ كنت مضطجعاً على أرض حجري الخشبية في بنسيون قديم من بنسيونات الأقاليم، لما وصل أخي فيما يعذني؛ كانت يدي تمسح قبيل وصوله، متزددة نشيطة وبنظام قاس، جلد جسمي الرطب، وكانت أناملتي تلمس وهي ملأى بالسم الزغب النابت في صدرى الذي ما زال حاراً؛ كان رأسى يدور متعباً بينما الشعر يسقط في موجات كثيفة فوق قوس الجبهة الرطب؛ استندت بأحد خدي إلى الأرض، لكن عيني أمستا لا تريان غير قليل ما إن فقدنا السكينة إزاء رفه الجفون السريعة، كانت ضوضاء الطرق على الباب تصلنى ناعمة، وكانت تقترب خالية من المعنى، وكانت خيوط الباتينا^(٢) تتساب بين طيات الأذن حين كنت أغفو للحظات؛ وما كانت الضوضاء، التي تتردد دائماً ناعمة، هادئة، تعكر حلاوة السكر، ولا نعاسي، ولا الدوار الخفيف اللذى لا مفر منه؛ ورأيت عيناي بعد ذلك قبضة الباب التي كانت تدور، لكنها ضاعت لما تحركت في شبکية العين كأنها شيء لا حياة فيه، وصوت لا اهتزاز له، أو كتفحة غامضة على كهف الذاكرة؛ وخلال لحظة كانت هزات تبعث في الفزع وتثبت اليأس في

^(١) شريط يوضع في العنق للتبرك يدعى الشريط المريمي نسبة إلى مريم العذراء.

^(٢) نوع من النبات حريري الخيوط يستعمل في الصناعة، ويقصد به هنا شعره.

أغراض الغرفة الراقدة في سبات؛ فنهضت على قدمي بوئبة خفيفة صامتة، منحنياً كما أرفع المنشفة المبسوطة على الأرض، وضغطت على عيني بينما كنت أجفف يدي وحركت رأسي فوراً كما أحرك عيني، وتناولت القميص الموضوع على الكرسي، وأخفيت داخل البنطال عضوي الأسرم القائم، ثم خطوت بضع خطوات وفتحت أحد مصراعي الباب ورجعت أقف خلفه. كان ذلك أخي الأكبر في الباب؛ ولما دخل ظلانا واقفين كل منا إزاء الآخر وقد جمدت عيوننا، وكانت فسحة من الأرض القاحلة تفصل فيما بيننا، وكان خوف وذعر في ذلك الغبار، لكن ذلك لم يكن اكتشافاً، ولا أدرى ما هو، ولم ننس بكلمة إلى أن بسط ذراعيه، وقبض في صمت بيديه القويتين على كتفي وتبادلنا النظارات، وفي لحظة محددة هجمت ذاكرتنا على عيوننا بغباء، فرأيت عينيه تبللان بالدموع بغنة؛ كان ذلك لما عانقني، وأحسست في ذراعيه بثقل أذرع العائلة القليلة الملوثة بالطين كلها؛ وتبادلنا النظارات مرة أخرى وقلت "ما كنت أنتظرك" هذا ما قلت من غير أن أدرى ماذا كنت أقول، وقد ملئت خوفاً من أن ينزل مني شيء فيما أقول، ومع ذلك ردت "ما كنت أنتظرك" هذا ما قلت مرة أخرى، وأحسست بقوة العائلة الطاغية تنهال فوقني ك العاصف مطري ثقيل، بينما كان يقول "تحن نحبك كثيراً، نحبك كثيراً" هذا كان كل ما قال. لما عانقني مرة أخرى؛ كنت ما أزال مضطرباً طائش اللاب لما أشرت إلى الكرسي في الزاوية، لكنه لم يحرك ساكناً وقال وهو يخرج المنديل من جيبه "زرر القميص يا أندريه".

كنت في سبات الأماسي الفارغة في المزرعة، أخذ لي مكاناً في الغابة أفرأ إليه من عيون العائلة المتوجسة، وكانت أطفئ حمي قدمي في الأرض الرطبة وأعطي جسمي بأوراق الشجر وأضطجع في الظل وأنام بهدوء نبته مريضة انشت تحت نقل مرضها العنيف؛ لم تكن جاناً جذوع الشجر الساهرة على حلمي، الصابرة في صمت حولي، وما هذه الصناديق القديمة التي تطلق الأصوات الحارة تدعوني إليها من الشرفة؟ ماذا يجنون من ذلك

الصراخ إذا كانت هناك رسل أسرع وأنشط تمنطي خيراً منها متن الهواء، مفسدة خيوط الفضاء؟ (حلمي الذي صار ناضجاً قد يُتلقى بلذة دينية كاللذة في قطف ثمرة).

وتدكّرت أني كنت أستمع دائماً إلى مواعظ الآب بأن العيون هي مصباح الجسد، فإذا كانت صالحة فذلك أن الجسد فيه نور؛ وإذا لم تكون العيون صافية فإنها تكشف عن جسد مظلم، وكنت أعلم وأنا أقف إزاء أخي مستنشقاً رائحة خمر نفاذة أن عيني صارت جوزتين مقرزتين، لكنني ما كنت آبه بأن يكونا كذلك فقد كنت مضطرباً، بل كنت ضائعاً، ووجدتني بعنة أصنع أشياء، فأحررك يدي وأجوب الحجرة وكأن اضطرابي مبعثه الفوضى المنتشرة إلى جانبي: فرتبت الأغراض فوق المنضدة، وسمحت سطحها بخرقة، وأفرغت منفعة السجائر في السلة، وسويت غطاء السرير وطويت المنشفة عند رأس السرير وكانت راجعاً إلى المنضدة لأملاً كأسين لما سببته وكدت أسا عن "أنا"، ولو فعلت لكان ذلك اندفاعاً متھراً مفاجئاً، لكن، كان بإمكانني أن أسأل حقاً كيف جاء إلى البنسيون واكتشف هذا البيت العتيق، أو أحاول أن أعرف على شكل ساذج سبب مجئه، غير أني لم أفكر في شيء من هذا، لأنني كنت مظلماً من الداخل، وما كنت أستطيع الخروج من لحم أحاسيسِي، وكانت على يقين من شيء واحد قرب المنضدة هو أن عيني أثيرتا بالخمر الذي كنت أسكبه في الكأس؛ "مصالحة النافذة" قال "لم" هي مغلقة مصالحة النافذة؟" قال: من مقعده في الزاوية حيث كان يجلس، ولم أتردد طويلاً فهرعت لفتح النافذة، وكان في الخارج بقية من مساء غضن وبارد تقريباً شكلته شمس ليفية وبرتقالية اللون صبغت على شكل كبير بذر ظلمات حجري، وكانت ما أزال أغلق ألواح المصاريغ بكلابها لما هاجمتني نوبة أولى خفيفة، لكنني لم ألتقت لها فقد كانت عارضة، ولذلك فكرت في أن أنهى مهمتي، وبادرت من ثم إلى أن أضع بسخاء وبشيء من السخرية بين يديه قدحاً رائعاً من الخمر؛ وبينما كان نسيم مزعج ينفع السائن المطرزة

بطراز سميك يرسم على ارتفاع متوسط ملائكة يتسلقان السحب وينفخان في بوقين ساكين و قد انفتحت وجنتاهم، جلست على طرف السرير خافضا عينيهن كسيرتين، أما عيناه المملوءان نورا فكانتا تتصلبان علي لا شك في ذلك، وهذا ما سمعني حتى انتابتي موجة قصيرة وهادئة هددتني عن قرب ودفعتهي حتى كدت أحته صارخا لا تكبح نفسك، يا أخي، واعثر على الصوت الجليل الذي تبحث عنه، واستعد رزانتك، واكشف القناع عن وجهي، وحطّم بلاطة البيت القديمة بين عيني لكنني لزمن الصمت ظنا مني أنني إذا حثثته فسوف تكون حماقة فوق ذلك هو عبث، وسقطت في التفكير في عينيها من غير وعي، في التفكير في عيني أمري ساعات المساء الأكثر صمتا، حيث حنان العائلة كلها وكراهيتها أيضا يقان وجهاً لوجه. وتندركت لما فتحت باب حجرتي في لحظة غامضة صورة أمري تبعث حزينة تقريبا لا تظل في السرير، يا قلبي، لا تجعل أمك تتألم، كلمني وأحسست بدھشة وفزع أمري قد انفجر باكيًا في كل لحظة، وخطر في ذهني أن أنتهز بقية سكر لم يفرغ مجىء أخي كيما أتعرف له ربما بورع إنه هذيانى، يا بدورو، إنه هذيانى إن شئت معرفة ذلك، لكنها كانت موجة عبرت رأسي وجعلتني أفرغ كأسى في جرعتين سريعتين، وشرعت أنا الذي كنت أحسب عبئا قول أي شيء بالاستماع إلى صوت أخي هادئا صافيا كما يليق به (هو كان يتولى الرسالة السامية بإعادة الابن الضال إلى حضن العائلة)، وكان صوته صلاة يصلحها حين شرع في الكلام (كان أبي) عن كلس كاتدرائيتنا وحجارتها.

سودانيسا (أو شودا) كانت: متينة البنية، هكذا؛ وكانت تقطن تحت سقف مسنيم من السابط الغليظ والمذهب، داخل سور محاط بعدم خشبية مغروسة جيداً، كل عمود منها إلى جانب الآخر، وكانت تواتيني الجرأة على أن أتجسس عليها من خلال الفجوات في الزمان الأول؛ وكانت تغسل لسانها وتشرب الماء في إباء من الطين الطري يُجدد كل صباح؛ وكانت ترقد على

سرير مجهَّز جيداً بالعشب الجاف العطر اللين، وترجح رأسها عليه إذا ما شرعت الشمس تصب شواطئها خارج السور؛ وكان لها قصعة نظيفة دائمة توضع فيها ذرة منتفقة من بين الحصى، وعشب أخضر كنت أدعكه بالبلدونس لاستفاد ما عندها من شهية؛ أول مرة رأيت فيها سودانيسا بعيني المريضتين كانت ذات مساء أخرجتها فيه بين الشجيرات المزهرة التي كانت تحيط بحجرتها الريفية وقدتها بحرص محب غبور وكانت تتبعني طائعة تطا الأرضا بقوائمها ذات الكعب، وجسمها العريض يتارجح ويرتج واقفا على عمد سيقانها المتتسقة جيداً؛ شرعت أعني بجسمها عند المساء غامراً يدي الملوثتين بالدبال في جفنات فيها دهانات ذات روائح مختلفة، ثم كانت تختفيان سريعاً في شعرها الناعم المخطط. لكنها لم تكن عنزاً داعرة، بل كانت عنز طفل ذات ثدي سمين منتفخ، تعرض باهتزاز جسمها عورتها القاتمة، كانت كلها حساسية إذا ما طاف المشط فوق شعر جسمها اللطيف المموج، كانت عنزاً مرحة، وكانت ذات زلمنين ولها ذيل قصير هو قطعة من العصعص اكتسبت بهلوب جيد سريع التأثر بأذني لمسة من أصبع، والطف مداعبة منها؛ كانت تبدو منحوتة من قطعة واحدة إذا ما اعترض فمها الصبور قضيب غض وراحت تمضغه ليس بأسنانها وإنما بالزمن؛ وتصبح حينذاك عنزاً من حجر ينطبع في عينيها خطان من حزن، أو جفناً طويلاً أسودان، وتمسي في هذا الوضع الصوفي عنزاً كتب لها أن تكون هكذا؛ سودانيسا جلبت إلى المزرعة للتهجين، فوجدت نفسها في سغل عن ذلك، كانت تحتاج إلى عناية خاصة، وخطوت في ذلك الوقت وأنا مراهق خجل أولى الخطوات خارج مكان معزلي: وخرجت من عطالتي وسميت نفسي راعيها الغنائي منتهياً حرمتها: فأضفت جمالاً على شكلها، وبريقاً على شعرها وأهديت إليها أطواقاً من الزهر، وطوقت عنقها الطويل بأمتار من (ديبيو - ده - مساو كائيناتانو)⁽¹⁾ بشارها المرتعشة والمتعلقة

⁽¹⁾ يشير إلى جملة من النباتات المتسلقة والزاحفة.

كالأجراس؛ وكانت تشودا الصبور جد كريمة لما كان قضيب آخر سري وداعر وأكثر انتفاخاً يبحث بالاحتكاك بجسمها عن إقامة ميثاق معه.

الحب والوحدة وعملنا جميعاً إلى جانب الأب كانت رسالة الطهر المنشفحة المحفوظة في هيكل معبدنا؛ كانت تنقل إلينا كل يوم بجلال وتحن نتناول فطورنا في الصباح، ونحن نقرأ كتابنا في المساء؛ كان أخي يضع نصب عينيه نقاط هذه الحكمة الورع، ويتابع صلاته مشيراً في كل خطوة على شكل خفي إلى عدم نضجي في الحياة، متكلماً عن العثرات التي يتعرض لها كل منا، ومن الطبيعي أن يحدث ذلك، لكن من الهام ألا ننسى أيضاً الخواص العاطفية والروحية التي تشتتنا إلى بعضنا، فلا نسمح لأنفسنا بالخضوع إلى الإغراء، محترسين من السقوط (ولا يهم من أية طبيعة كان)، هذا ما يتطلبه الحذر، هذا على الأقل الجانب الواجب على كل عضو، وهو الضريبة المفروضة على كل منا، إذ يكفي أن تزلّ قدم أحدهنا حتى تسقط العائلة كلها خلفه؛ وقال إذا كان البيت في وضع جيد، فإننا جميعاً في وضع جيد، ولابقاء البيت قائماً على قدميه لا بدّ لنا من تقوية الإحساس بالواجب باحترام رابطة الدم التي تجمع بيننا، فلا نبتعد عن بابنا ونجيب أبانا إذا ما سألنا، ولا نشيخ بأعيننا عن الأخ الذي يحتاج إلينا، ونشارك في عمل العائلة جالبين الشمار إلى البيت، متكاففين في تزويد المائدة المشتركة، وينبغي لنا أن نسخ المجال دائماً ضمن دائرة نمط حياتنا المنشف، لكثير من الأفراح بدءاً من أداء مهام غير منوطة بنا، ومن يتهرّب من متطلبات الواجب المقدّسة يُحكم عليه بجرائم كبير؛ تحدث أيضاً عن الرغبات المنعزلة لكل منا، لكن لا بدّ لنا من لجم الدوافع السيئة، والاعتدال بحكمة في الجيدة منها، فلا فقد التوازن مراعين السيطرة الذاتية على النفس، محترزين من الأنانية والأهواء الخطرة التي تصاحبها، محاولين العثور على حل لمشاكلنا الفردية من غير أن نخلق مشاكل أخطر لمن هم موضع تقديرنا؛ ومن أجل تسوية كل حالة، لدينا دائماً الجذع نفسه واليد المخلصة وكلمة الحب وحكمة مبادتنا من غير

أن نحسب أن أفق الحياة لم يكن واسعاً كما كان يبدو، وفي حالي كانت وهمأ تلك السعادة التي قد أكون لمحتها خارج حدود أراضي والدنا؛ كان أخي يتحاشى أن يعرف دوافع هرمي القاسية لكنه كان يوحى على شكل خفي بأن خطواتي كانت قدوة سيئة لـ"لولا" آخر العنفود، والذي كانت تطلعاته قريبة من تطلعاتي، وراح يضفي نفحة حارة على عطنه كيما يذكرني أن في العفو قوة أشد مما في الإساءة، وفي الإصلاح أكبر مما في الخطأ مبيناً أن هذه الأمور ينبغي لها أن تكون الوجه السامي للطبع الجيد وفقاء، وبمناسبة عودتي فعلى عاتق الأسرة يقع العفو وعلى عاتقي إصلاح الخطأ، أنا الابن الضال "لا تعلم ما حصل لنا خلال فترة غيابك"، ولسوف يفررك وجه العائلة الكابي؛ فاس جداً أن أقول لك ذلك يا أخي، لكن أمك لم تستطع أن تخفي أنينها على أحد" قال وهو يمزج التأنيب بإحساس بالحنان يزداد شدة، هو الذي كان يمضي صاحباً راسخ القدم ورصيناً إلى حد ما (كابي)، بينما كنت أستسلم إلى دوار سريع مفكراً في زاد العائلة الهزيل، وقد جرئت من فوتها القديمة، وربما وجدت لحظة من الضياء وسط ظلمتي لما راودني الشك أنتي كنت أستئلك في غرفة في بنسيون، آخر مذخرات العائلة من بذار الأرض، بداعي من غروري ولنسقص في غذائي الروحي؛ "لم تخبر العائلة أحداً برحيلك، وأحسن كل منا أكثر من الآخر ساعة الغداء على المائدة ذلك اليوم بنقل كرسيك الشاغر؛ لكننا ظللنا ساكنين وعيوننا مطرقة، والأم تُعد أطباقنا، ولم يجرؤ أحد منا على السؤال عن مكانك؛ كان مساء متعباً بذلك المساء من العمل مع الأب، وكانت أفكارنا مشغولة بصورة أخواتنا في البيت ضائعات بين أعمال المطبخ والتقطير على الشرفة والعمل على آلة الخياطة، أو يربّن غرفة المؤونة؛ وما كان يهمّ أين كنّ، فقد صرنا غير ما عهدها بهن ذلك اليوم، لما كان يملأن البيت مرحاً، فاضطُررن إلى البقاء على تلك الحالة من الاستسلام والحزن؛ يجب عليك أن تكون هناك، يا أندريه، عليك، أن ترى الأب متترساً في صمته: فما إن فرغ من الطعام حتى ترك المائدة وذهب إلى الشرفة، ولم يره أحد ينسحب منها وظل قرب الدرابزين واقفاً

ناظراً إلى ما لا يعلم في الليل المظلم؛ ولم أدرك مبلغ ما حدث إلا ساعة النوم لما دخلت حجرتك وفتحت صوان الملابس ووجدت الدروج فارغة؛ وكان ذلك بداية تفكك العائلة" ثم كف عن الكلام وكانت أعلم سبب انقطاعه، فقد كان يكفيه النظر إلى وجهه، لكنني لم أكن أنظر إليه، وأنا أيضاً كان لدى أشياء في داخلي تستحق أن يُنظر إليها، كان بإمكاني أن أقول "تفكينا بدأ منذ فترة سابقة هي أبعد مما نظن، بدأ أيام كان إيماني ينمو نمواً حاداً في طفولتي، وكانت أكثر حماساً من أي شخص آخر في البيت" أستطيع أن أقول ذلك باطمئنان، لكن الوقت غير ملائم للتفكير في منافع الإيمان الغامضة، والنهوض بجوانبه المتراخية، واستهلاك سر الجسد والدم مترياً لذة القوى وارتعاشها، ومع ذلك أخذت أفكر في حزام جمعية الأخوة المرимية الذي كنت أضعه وأنا طفل تقى، إلى جانب السرير قبل النوم، وفكرت أيضاً كان الله يوقظني في الساعة الخامسة كل يوم كما أشارك في القدس الأول، وكيف كنت أظل مستيقظاً حزيناً على أخي الرقادين في الأسرة الأخرى من غير أن يحظوا بالنعمة التي أحظى بها، متسلياً بالعتمة التي تتدفق من الفجر مكتشفاً في كل موجة من ضوء النهار أشباح الصور السحرية المرسومة أعلى الجدار كأنها حاشية موشأة، وما كنت أنتظر شيئاً سوى أن تدخل أمري الحجرة تقول لي مرات كثيرة "استيقظ يا قلبى" وتلمس جسمي مرات عدة بلطف وأنا أتظاهر بالنوم، ثم أتشبث بيديها مرتعشاً، وكانت أيدينا تشكل تحت الغطاء لعبة رقيقة، وكانت أضحك، وكانت، هي المفعمة حباً، تقول لي هامسة "لا توقف أخونك، يا قلبى"، ثم كانت ترفع رأسى وتضعه على وسادة بطنها الدافئ وتنشى بجسمها الضخم وتقبل شعرى قبلات كثيرة، وما إن أنيض حتى أجد الله قربى على المنضدة اللليلة الصغيرة، وكان إليها يمكن أخذها بيدي وأطوق به عنقي ويملأ القلب، وكانت أدخل الكنيسة وأنا طفل كأني منطاد، كان جميلاً نور طفولتنا الآلif ذاك، والخبز المنزلى على المائدة والقبيبة بالحليب والزبدة، وبهاء بيتنا، المشع هذا الذي كان يبدو لي أكثر إشعاعاً لما كنت أعود من القرية، ذلك البهاء الذي صار يثير في

الاضطراب فيما بعد و يجعلني غريباً أخرس ملقياً بي في السرير منذ البلوغ كأنني ناقه، "هذه الأمور لم تخطر ببال أحد في حدود بيتنا" كاد يزلي لسانه بها، لكنني فكرت مرة أخرى بعثت قول أي شيء، في الحقيقة كنت عاجزاً عن قول شيء. ولما رفعت بصري رأيت أخي يُغرق عينيه في كأسه، وقال من غير أن يتحرك وكأنه يردد على نداء نظرتي: "كلما كانت العائلة أمنة بنبياناً كانت السقطة أعنف، لأن قوة العائلة وفرحها يمكن أن تخنقني بضربيه واحدة" هذا ما قاله وقد كسا وجهه حزنٌ فجائي ثم توقف، وبعثت في مخيلتي بتندفع تلقاء أيام الأحد الصافية زمان كان أقرباؤنا في المدينة ينتقلون إلى الريف مصطحبين خيراً الأصدقاء ويجتمعون في الغابة خلف البيت تحت أطول الأشجار التي كانت تشكل والشمس لعبة مرحة لطيفة من الأضواء والظلال، وبعد أن تتبدد رائحة الشواء بين أوراق الأشجار الوارفة الكثيرة، كان يُطوى الغطاء المفروش فوق العشب الهادئ، وكانت أستطيع أن أرافق منزويَاً عند أبعد جذع، الاستعدادات السريعة من أجل الرقص، والحركات الفلاقة لذاك الفريق من الشبان والشابات وبينهن أخواتي ببيوتين الريفية وملابسهن الزاهية الخفيفة تملؤهن وعود بحب موقوفة بسبب طهارة حب أكبر. وكانوا يجرون بظرف يملؤن الغابة ضحكاً حاملين سلال الفواكه إلى حيث كان الغطاء مرسوطاً من قبل ثم يتقاسمون حُزْر البطيخ والبطيخ الأحمر ويقطفون الأعناب والبرتقال من البستان في هذه السلال التي ترتب بعذابة في وسط الفسحة علامة يدور حولها الرقص. وكان ساماً ذلك الفرج مع الشمس تحدر ومعصورة بين الأوراق والأغصان، فرح ينسكب أحياناً على الظل الهادئ عبر شمعة كبيرة سامية ذات ضوء جميل ينعكس بحدة على الوجه الرطبة، حينئذ تتعقد حلقة الرجال أولاً، فيشعر أبي عن ذراعيه جاماً حوله أكثر الشبان يفاعمة ممسكين بأذرع بعضهم البعض القوية ويشكون أصابع أيديهم انصبلة ببعضها مشكلين حول الفواكه محيط دائرة صلبة كأنه محيط عجلة عربة ثيران بارز سميك، ثم يقبل عمى المهاجر العجوز الذي كان راعياً في طفولته فيخرج من جيبيه الصغير مزمار قصب

دقيق فيمسك به بيديه التقليتين، ويسرع حينئذ في العزف عليه كعصفور، فينفتح خداه كأنهما خدا طفل، ويزدادان انتفاخاً أكثر فاكثر، وكان يوحى وجهه المتورد بأنه سيسكب كل الخمر الذي شربه من أذنيه كما من صنبورين، وعلى صوت المزمار كانت الحلقة تشرع بالحركة ببطء، أولاً باتجاه معين ثم في اتجاه معاكس، مجربيين شيئاً فشيئاً قوتهم في حركة ذهاب وإياب قاسية وعلى إيقاع دوس أقدام أصم قوي، تدق الأرض دقاً برجولة، إلى أن يطير صوت المزمار فجأة ويختار الغابة مسحوراً ويمتد في مدى العشب الأخضر ويجد المراعي، حينئذ كانت تسارع الحلقة المرتعشة من حركتها وتكمل الدائرة كلها، وتكتف عن أن تكون الآن دولاب عربة ثيران، وإنما هي دولاب طاحون كبير أخذ يدور على محوره مرة أخرى، أما العجائز الحاضرون وكذلك الفتيات اللاتي كن ينتظرن دورهن، فكانوا يصفقون بأكفיהם ويزيدون في قوة الإيقاع الجديد وما كانت تبطئ "آنا" النافذة الصبر والمندفعه وذات الجسم القروي والزهرة الحمراء كعلقة دم مشبوكة بشعرها الأسود الحر الذي فرقته إلى جهة واحدة، أختي هذه كانت مثلّي وخلافاً لأفراد البيت الآخرين، تحمل الطاعون في جسدها، وكانت حينئذ تخترق الدائرة الراقصة، ومن ثمّ كنت أستطيع أن ألمح خطواتها الدقيقة الغجرية منزلقة وسط الحلقة وهي تتناثر بين فواكه السلال والأزهار لامسة الأرض بأطراف أصابع قدميها الحافيتين رافعة ذراعيها فوق رأسها وهي تتحوّى ببطء ترافقها سقساقة مزمار تزداد بطنًا وتموجاً ويداها الظرفتان تدوران أعلى رأسها، وقد ملئت أناقة وحشية وكانت أصابعها تقطّق كأنها صناجات، أو الأصل الذي جاءت منه الصناجات، وكانت الحلقة حولها تدور بحركة أكثر تسارعاً وهذياناً، والأكف المصفقة أكثر حرارة وقوّة وجراة، وكانت آنا تتومهم مغناطيسيّاً فتختطف منديلاً من جيب أحد الشبان وتشعره بيدها المرفوعة فوق رأسها بينما جسمها كان يتلوّى ، أختي هذه كانت تحسن صنع الأشياء، وكانت تخفي سماها إخفاء جيداً تحت لسانها ثم كانت تعرض على عنقود عنب متسلٍ وتملاً حباته باللعلاب بينما كانت ترقص وسطهم

جميعاً، جاعلة الحياة أكثر اضطراباً، ومحركة كوامن الألم منتزعة صيحات الإعجاب، ثم لا تثبت أصوات العجائز الأكبر سناً أن تعلو مترنمة بلغة غريبة بأشعار بسيطة تكاد تكون نشيداً دينياً، ويجرف التيار فاصراً لعواً من أبناء عمومتي فيأخذ غطائين من أغطية الحل جاعلاً منها صنوجاً صاحبة، حتى كان يُخَيِّل إلى أن مالك الحزين والبطأ طارت من البحيرة، وقد سرت فيها عدوى الأصوات، لتتضمَّن إلى كل من كان هناك في الغابة، وكنت أستطيع أن أتصور الفرحة في عيني أبي وقد رطب الخمر وقاره، وصار حينئذ على يقين أكبر من أنه ليس كل ما في عنبر المركب فاسداً، أمّا أنا الجالس على جذر مكسوف في أظلم ركن من الغابة، فكنت أدع الريح الخفيفة التي كانت تسرى بين الأشجار، تدخلني عبر القميص، وتتفاخ صدري، وكنت أحسَّ في جنبي بمداعبة شعرى مداعبة حلوة، وكنت أتصور من بعيد وأنا بوضع مسترخٍ ظاهرياً، بشرة وجهها الطرية التي لها رائحة الخزامي وفمها الحلو كالبرعم، وقد ملئت حناناً وسرّاً، وسمّاً في عينيها كعيني بلح البحر، وما كان يكبح نظراتي كابح، وكنت أفك حذائي وأخلع جوربي وأخذ أبعد بقدمي البيضاوين النظيفتين الأعشاب الجافة وأبلغ طبقة الدبال الكثيف تحتها، كنت أريد إرادة لا تُكبح أن أحفر الأرض بأظافري ذاتها وأضطجع في تلك الحفرة، على وجه الأرض وأغمض نفسي بالتراب الرطب، وما كنت ألمح في هذا الدرج المخفي متى كانت تبتعد عن الجمع باحثة في كل الأنهاء بعينيها النجلاويين الحزينتين، وكانت خطواتها التي تقترب تختلط في البدء بضوضاء خجلة تصدر فجأة عن حيوانات تحرك حولي في صخب ودي، وكنت أشعر بوجودها متى صارت قربي، وكانت أخفض حينئذ رأسي وأتتبه إلى خطواتها التي كانت تفقد بغنة سرعاتها وتنقلب خطأ بطيئة تقيلة ساحقة بوضوح تحت قدميها الأوراق الجافة، وكانت تسحقني على شكل غامض من الداخل، وكنت أحس مدى لحظة بيدها الحارَّة الهادئة تتزعَّق القش عنِّي أولاً، ثم تمسك بشعري وتمسده، وكان صوتها الذي ينبع من تكليسات الرحم ينطلق عميقاً في هذا المخبأ الذي أختبئ

محبساً فيه، وكأنه نابع من داخل معبدبني بالحجارة، ولكنه مملوء نوراً ساماً ينسكب من الزجاج "تعال، يا قلبي، وألعب مع أخوتك" وهنا كنت أقول هادئاً منطويأً "دعيني، يا أمي، أنا أتسلّى"، لكن عيني المشحونتان مراة لم تكونا ترتفعان عن أختي التي كان أخوصاً قدّمها الحارآن يطبعان علامات كانت تكويوني من الداخل، فما كان أصفى ذلك العجاج وأنا أنظر حينذاك إلى قفا ذلك الزمان الذي مضى، هو ذات الوقت لما كنت أغضن طرفـي ذات يوم وقدماً مقيـدان كيلاً أرى وجهـها! وما أـنقـل هذه الزـوـادة على كـفـي لـما غادرـتـ الـبـيـتـ! كـنـاـ نـسـيرـ وـهـيـ لـاصـقـةـ بـمـتـيـ كـأـنـاـ تـوـأـمـانـ مـلـتصـقـانـ بـظـهـرـيـنـاـ، أوـ مـحـبـضـةـ وـاحـدـةـ، وـلـنـاـ عـيـنـانـ تـنـظـرـانـ إـلـىـ الـأـمـامـ، وـعـيـنـانـ أـخـرـيـانـ تـنـظـرـانـ إـلـىـ الـخـلـفـ، وـكـنـتـ أـرـىـ أـشـيـاءـ بـعـيـدةـ وـأـنـظـرـ إـلـىـ أـخـيـ وـاقـفـاـ هـنـاـ، وـسـوـفـ أـخـذـ فـيـ خـاتـمـهـ هـذـاـ المـسـاءـ قـرـارـاـ يـائـسـاـ بـأـنـ أـقـيـ بـنـفـسـيـ فـيـ جـوـفـ تـلـكـ السـاعـةـ الـمـتـرـهـلـ؛ رـبـماـ سـأـطـلـبـ إـلـىـ أـخـيـ الـذـيـ مـاـ زـالـ لـيـنـاـ مـعـيـ أـنـ يـذـهـبـ: "تـذـكـارـاتـ إـلـىـ الـعـاـلـةـ" وـلـسـوـفـ أـطـبـقـ الـبـابـ وـأـنـتـلـعـ بـعـمـاشـ الـشـمـسـ الـلـيـنـ المنـشـورـ عـلـىـ أـحـدـ جـدـرـانـ الـحـجـرـ، وـلـسـوـفـ أـسـتـلـمـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ الـخـمـرـ وـإـلـىـ مـصـيـريـ مـحـمـيـاـ بـهـذـاـ الغـطـاءـ.

منذ هروبي وأنا أـسـكـتـ ثـورـةـ غـضـبـيـ، (فـمـاـ أـقـسـىـ سـكـوتـيـ)! وـمـاـ أـمـتنـ نـسـيجـ غـضـبـيـ)! وـكـنـتـ فـيـ كـلـ خطـوةـ أـبـتـعدـ عـنـ المـزـرـعـةـ، وـإـذـاـ كـنـتـ أـسـأـلـ نـفـسـيـ شـارـدـ الـذـهـنـ "إـلـىـ أـينـ الـمـسـيرـ؟"، فـمـاـ كـانـ يـهـمـتـيـ أـنـ أـبـلـغـ بـعـيـنـيـ إـذـاـ ما رـفـعـتـهـماـ، مـنـاظـرـ جـدـيـدةـ جـداـ، وـرـبـماـ أـقـلـ جـفـاءـ، وـمـاـ كـانـ يـهـمـتـيـ أـنـ أـتـجـهـ فـيـ مـسـيـريـ صـوـبـ مـنـاطـقـ تـزـدـادـ بـعـدـاـ، لـكـنـ لـاـ مـنـاصـ لـيـ مـنـ أـسـتـمـعـ بـوـضـوحـ إـلـىـ حـكـمـ قـاسـ صـادـرـ عـنـ رـغـبـاتـيـ، وـكـانـ حـكـمـاـ حـجـرـاـ وـصـلـبـاـ خـالـيـاـ مـنـ كـلـ حـيـاةـ: "تحـنـ ذـاهـبـونـ إـلـىـ الـبـيـتـ دائـماـ".

□□□

ماتبياس وفبده بطارسنه^(١) مقططفات من شعره

■ ترجمة : علي إبراهيم أشقر ■

يَخْبُونَ عَلَى الصَّهْوَاتِ فِي درب دمي

إلى أبيوي سليمان وايميليا

تَخْبَ في درب دمي

مئات الأجيال من جمالَة غير منظورين.

وأحس بالشرق يسقط في حشائِي

ويطل على عيني قلق الصحراء.

وتجرحي رمالها العارية المالحة

^(١) شاعر وباحث جامعي من أصل عربي. ولد عام 1929 في مدينة كوربيتو. بعد الدراسة الثانوية انتسب إلى معهد بيلابو الدينى الذي ما لبث أن هجره. حصل على الدكتوراه من الجامعة المركزية في مدريد، وعين عام 1956 أستاذًا للغة القشتالية في الجامعة الكاثوليكية في الشيلي، ثم درس علم الجمال في مختلف الجامعات داخلية وخارجية، وشغل مناصب إدارية تعليمية عدة، وانضمأخيرًا إلى مجمع اللغة. من مؤلفاته: قلب شفاف (ديوان)، الرواية الإسبانية الأمريكية المعاصرة، مدخل إلى الشعر الشيلي المعاصر.

وإيقاع خفي يهدّد أحالمي
يسنّقظ العود منتخبًا في عروقي
ويذيب في النهر الامتناهي بكاءه
والنخيل ينشر مظلاته الشمسية
كريات نقية ترف فوق حقل الجديب

(من ديوان الناعورة)

قصيدة ٧

عدت إليك اليوم
عودة نهائية.
وفي مرآة بسمتك
المتمردة تixer عيناي
بلطف.

خرجت ذات ليلة طويلة
بطيئة باحثاً عن نهر
عجب مذهب ومتلأ

وكانت خطاي المحمومة
أشباحاً في الظلمة الدافئة.
لكن ذلك النهر لم يكن سوى

بريق سيف فارغ بارد.

وصرت في عودتي شجرة هامدة
ذات اسم يهوي وحيداً نحو النسيان
لذلك فاجأته بالقول:

"— هنا تنمو شجرة جديدة، ونهر
أزرق وهواء عال جداً
كفراسة ملكة شفافة"
كملاك شفاف"

وأحسستُ وسط القصب
الرهيف بصوتك
— شلالاً أخضر من الموسيقى —
يملاً قلبي عصافير
مضيئة.

(من ديوان قلب شفاف).

عاشر سبيل أسود
ينعطف الأسفلتُ
في النواصي الأخيرة
ويصعد عابر
أسود

في جيوبه
ينام رماد النهار.

وأضواء نومي
في المطر — أشباح
فتيات ضلالات. —
وتترنح الأشجار
في الطريق إلى عينيه.
والأفق يفرز
صوراً منبئاً الفواجع.

موجtan إلى ماريـسول

ابنـي في الظلام، تحمل
مفاتيح خفـية في نومها
أـية رـياح سـتهـب
في الرـبيع؟

أـو سـتصـعد الـظـلـلـ
عبر نـافـذـة سـمائـها الصـغـيرـةـ؟

عينـاـها تـفـكـان لـغـزـ

السنين الخفية.
هبات أمسٍ
مضرب.
هل تهرب
الأرض ذات يوم؟
ليس كل شيء ينتهي في النهر.
موجتان سيهوي
بهما البحر ذاته على الشاطئ
موجتان من أمواج البحر.

عباد شمس

عبد الشمس
يرفع عند الظهيرة
بسماه الصفر.
وينقلب في الليل
حمامة سوداء
مهجورة

(من سيرة ذاتية مصغرة)

كان يحب البحر

إلى أبي لما مات.

كان يحب البحر كما

يحب الأنهر. جاء من مكانٍ فصيٌّ
معلقاً آماله على كل موجة.

بسمته شرفات
تمخر الهواء.
خلف وراءه عصافير
مسهدة، أصدائ خطىٌّ،
أحلاماً غريبة في
مرايا مسرنمة.
تُسمعُ أصواتَ وسط
الغرق. خرائب
مدينة مهجورة
آه! يا وجهاً مأسوراً
يا وجه الموت الذي يمضي.

(من ديوان ما قبل العشية.)

ذلك الرجل

ذلك الرجل
بحقيقته الملائى بالخرز
هو قطعة من متحف
في مدينة تلتهمها التنينات.

لا أدرِي إنْ كنْتُ أحدَ أجدادِي الجَوَالِينَ

أبناءَ الشَّمْسِ وَاللَّيلِ
سيَعُودُونَ مِنَ الصَّمْتِ
أشْبَاحُ مِمَائِلَةٍ
سُتُّرُّ شُرَفَاتٍ
وَأَبْطَالًا.

وَالذَّاكِرَةُ سُوفَ تَخْرُقُهَا
مَشَاهِدُ مَأْلَوْفَةٍ، وَسِيقَطُ
اسْمُ وَاحِدٍ
إِيمَاءَاتٍ قَدِيمَةٍ.

لا أَدْرِي إنْ كنْتُ سَلْفِي عَلَى الْكَوْكَبِ
أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ
جَدِيدًاً وَوَحِيدًاً.

(قصيدة غير مطبوعة.)

□□□

لوركا

الشاعر والعالم العربي الأندلسي

الكاتب: إنكارنا ثيوبن سانتش

■ ترجمة: رفعت عطفة ■

ولِدَ لوركا في حزيران من عام 1898 واغتيل بالقرب من غرناطة صيف عام 1936. لقد أصبحت سنوات عمره الثمانية والثلاثون، ونحن في فجر القرن الحادي والعشرين، بعيدة بما يكفي كي نقدر قيمة إبداعه الشعري، بكل عظمته. وترتبط قيمة هذا الإبداع بشكل عام وجزئي بموقف لوركا من التراث التراثي الموروث: فهو منذ خطواته الأولى في عالم الأدب، فيه عمله الخالق على أنه تواصل مع أفضل ما في التراث التراثي الإسباني.

إن قوَّة العلاقة بهذه الكتلة الهائلة الموروثة تتعلق بالكيفية التي يقيم بها فديركو هذه العلاقة: ليست المسألة مسألة تقليد، مدرسية وسلبية إلى هذا الحد أو ذاك، بهذا الجزء أو ذاك من الميراث الأسباني، بل بوعي المؤلف الحي تماماً بانتمائه إلى هذا التراث المتلقى وبالحاجة التي يشعر بها لأن يؤسس إبداعه على دعائمه.

لو حاولنا الآن أن نعرف الإحداثيات التي تشكّل هذه الكتلة في المفهوم اللوري سترى أنها اشتنان بشكل أساسي. الأولى هي سقوط جدار الفصل بين الفن المتنفِّ والفن الشعبي الذي يقود الشاعر إلى أن يتناول بالحب نفسه نشيداً تراثياً فولكلوريأً غجريأً - أندلسيأً، أغنية مهد، حكاية طفولية مسرحية لكالدرون د لا باركا أو قصيدة أسطورية من قصائد غونغورا. الإحداثية الثانية هي سعة نظرة

لوركا الهائلة لهذا التراث، الذي يضم المكونات الرئيسية الثلاثة للتراث الأسباني (المسيحي والإسلامي واليهودي) مع قبول جذوره وتنوعاته.

ويضمن فِريكيو في هذه الجذور الثقافة الرومانية اليونانية، والتراث الشرقي ويختص ضمن هذا الأخير قبل أي شيء اهتماماً خاصاً بالجذور الإسلامية، لكن أيضاً بالجذور التوراتية وكذلك للرصيد الطرطيسى والإيرى.

وسيهم فِريكيو بكل هذا، لكن ليس من موقف تصنيفي أو نقدي بسيط، فتفكيره بهذا الميراث غير مفصول عن عقريته الخلاقية. حتى حين يواجه هذا التراث كدارس أو متخصص، فالنصوص التي يقدمها تتخطى على طابع هو دائماً شخصي. يمكن أن تفينا، كمثل على ذلك، قراءاته لأعمال غونغورا التي قدمها في عام 1927 أو عروض المسرح الكلاسيكي الأسباني التي أخرجها في السنتين الأولى من الثلاثيات، حين طلبت منه السلطات الجمهورية أن يُشكّل ويقود فرقة مسرحية جامعية (باراكا الشهيرة، التي جال بها على الريف الأسباني مقدماً كبار كتاب العصر الذهبي، من ثربانش وحتى لوب د بغا وكالدرون وتيرسو د مولينا). ونظهر موهبة حتى حين يتعلق الأمر بتحليل عالم غونغورا الشعري المعقد، مدة محاضرته القصيرة: يقود فِريكيو النقد عبر سبل هي من الأصلة بحيث أن رفيقه وصديقه الشاعر داماسو ألونسو لم يستطع أن يقاوم إغواء أن يؤكّد أن تفسيره لغونغورا "نزوي قليلاً" وأنه "يبتدع ما لا يعرفه"⁽¹⁾

إذا كان الأمر كذلك حين يتعلق الأمر بالتفكير النظري أو بإنجاز شيء حول عمل مؤلف بعينه، نستطيع أن نتصور ما يجري بالمداد التي يختارها فِريكيو كمنطلق لنصل له: إن التحول الذي تعشه هو من العمق بحيث أنه لا يمكن في كثير من الأحيان التعرّف عليها. في أعماله الناضجة عادة ما يجري ما أكده دائماً في محاضرته المشهورة عن غونغورا، التي أشير إليها، أن: "(غونغورا) يتصرف

(1) - الفقرة الأولى المنكورة عند داماسو ألونسو، غونغورا بين مئويتين في الأعمال الكاملة المجلد الثامن، مدريد 1985، ص 693؛ والثانية من العمل نفسه، فِريكيو غارثيا لوركا والتعبير الأسباني في شعراء أسبان معاصرون، مدريد 1969، ص 261.

بالنالميج. يصور الأساطير جانبياً وأحياناً لا يقدم إلا ملحاً خفياً بين صور أخرى مختلفة⁽¹⁾.

بالضبط هذا ما نرى أنه يفعله في هذه العجالة في علاقته الخلاقة بالمركب الإسلامي للثقافة الأسبانية، هذه العلاقة التي بدأ فِدريكو بمارستها منذ طفولته.

حين يستقر منذ عام 1909 مع أسرته في غرناطة ستحمله أمّه الموقوفة لتربية أولادها، إلى المسرح باستمرار. كانت تنتصر آنذاك المدرسة الحديثة في الأدب الأسبانية (التي كانت تمنح فضاء كبيراً لأكثر الغرائب تنوّعاً) وكان أكثر أعضائها نشاطاً في إسبانيا فرانثيسكو بِياسِبِسا، الذي حين قدم في عام 1911 عمله قصر اللُّؤلُؤ، للمسرح الأسباني كان يعيد تقديم الصورة الرومانسية لغرناطة العربية بكلمات أكثر حلماً وحسية. يمسرح النصُّ الأصول الأسطورية لقصر الحمراء ويشدد بقوّة على طبيعة المختار عند مشيد البناء. وحين حضر لوركا مع صديقه ميغيل أورتيث في العام 1911 ذاته عرض المسرحية الأولى في غرناطة، أدهشه بعمق التألق والفخامة البصرية للحفلة (التي لعبت الدور الرئيسي فيها ماريَا غِرزو، أشهر وأغلى ممثلة في عصرها).⁽²⁾

تتوسّط الحمراء الموجة الغرائزية الجديدة التي راحت تشغّل عليها الحديثة وتبرز أسطورتها الآن بخاصّة القيمة المعمارية للبناء المرتفق إلى مستوى الرمز لحضارة. هذا التخصيص للتخيّل الشعري بالنسبة إلى أكثر أماكن الثقافة الأسبانية – الإسلامية تميّزاً سوف يترك أثراً في عقل المراهق فِدريكو.

(1) – فِدريكو غارثيا لوركا، الصورة الشعرية عند دون لويس غونغورا في أعماله، *المجلد السادس*، طبعة ميغيل غارثيا، بوسادا. مدريد، إكال، 1994، ص 253..
مدريد، 1969، ص.

(2) – يان جيبسون، حياة، عاطفة وموت فِدريكو غارثيا لوركا، مدريد، الورقة 2003، ص 52 – 54.. سوف يروي أخوه فرانثيسكو بعد سنوات أنَّ المسرحية أثرت في فِدريكو بعمق "حتى أنه أليس إحدى خاتمات البيت ثياب عربية وجعلها تشدّ مرةً وأخرى أكثر أشعار بِياسِبِسا إحياءً" (54).

ثم إن عملية تشعر (إضفاء الشاعرية على) الفضاء الإسلامي الغرناطي تحديداً أيضاً في اللغة الموسيقية. ونحصر اهتمامنا بالمثل الأكثر جلاً، بكلود دبوسي الذي يركز فضاء علاقته بأسطورة غرناطة (التي لم يزرها قط) في مساء في غرناطة (1903) وفي باب الخمر، المقطوعة التي شكلت جزءاً من الكتاب الثاني من الاستهلالات (1923). لوركا الذي طالما كان مولها بدبولي، كان يقول بثبات بأن الموسِّيقار الفرنسي استطاع بهذين العملين أن يترجم موسيقياً ليل غرناطة الإسلامية بشكلٍ ساحر، على الرغم من أنه لم يزد المدينة قط⁽¹⁾.

تلك هي المواد، إلى جانب مواد أخرى كثيرة أستطيع أن أذكرها (أراض شمسية (1904) لروبن داريُو، مثلاً⁽²⁾، التي راحت تغذى النظرة الغرناطية لوركا البافع؛ في نصوص نشره الأولى، النصوص المكرسة للمدينة يرشح منها حزن رومانسي؛ إنها غرناطة المسيحية المعاصرة للمؤلف المراهق التي تحدد مكانه وزمانه من خلال الموسيقية المتعددة للنواقيس اللامتناهية، التي تحاول في لاؤعيها أن تطمس تلك الأصوات الأخرى الميتة، أصوات المؤذنين:

من مكعبات الحمراء يظهر حي البيازين بفناءاته، وأروقتنه العتيقة، التي تمر فيها راهبات [...] لليل بريق سحري من فوق هذا البرج الكبير [...] ينزلق حزن موجع وحتمي فوق دور البيازين وفوق المنحنيات الحمراء والخضراء لقصر الحمراء وجنة العريف... ويمضي متبدلاً لونه، بلا انقطاع ومع تبدل اللون يتبدل الصوت... هناك أصوات وردية، أصوات حمراء، أصوات صفراء وأصوات أصوات، وألوان مستحيلة... بعدها هناك تناغم أزرق عظيم... وتبدأ سيمفونية النواقيس الليلية. إنها مختلفة عن سيمفونية الصباح. للشغف حزم كبير... يكاد يأتي صوتها جميعها منهاكاً، وهي تدعو لصلاة السبحة... يعني النهر بقوّة، أنوار شوارع البيازين المتلائمة تمنح سواد أشجار السرو ارتعاشات ذهبية. تطلق لا بلا أغنتها التاريخية... في الأبراج تظهر أنوار جبانة تضيء لقارعي النواقيس...

⁽¹⁾ العمل المذكور 56 و 604.

⁽²⁾ هذا هو أحد البلدان التي يصنفها المرء... جيبسون ص، 61.

يُصفر القطار بعيداً.

ناقوس لا بلا الذي يسود منذ عصر النصريين مخاطر الغوطة، ينتهي الآن بأن يسيطر أيضاً بسطوة على النواقيس الكاثوليكية [عقل تطلق هو المختار]. ينتصر تاريخ هذه المدينة الإسلامي منذ هذه النصوص التئيرية الأولى، حتى دون أن يذكر. يضع فدريكو أسطورة مملكة غرناطة جانبياً، مقتضراً على استلهام الهيبة، التي مازال يمارسها القصر الأحمر عبر نظرة الشاعر، المتمرد هناك، وعبر صوت ناقوس - ساعة الحمراء.

بالتزامن مع هذه الكتابات الشعرية التي يعيش فيها لوركا ضمنياً الميراث الأسباني - الإسلامي للأندلس، يُظهر الشاعر اهتماماً دقيقاً بالثقافة الإسلامية بلا زيادة يتبلور في مقال تعليقات حول عمر الخيام الذي نُشر في المجلة الغرناطية لتراس، يوم 30 تشرين الأول 1917 والذي وقعه فدريكو باسم أبو عبد الله المستعار⁽¹⁾. وإنَّه لمن المohl أن يكون المقال الأول الفكري، الذي يكتبه لوركا حول أمور أدبية عظيمة، مكرساً للشاعر الفارسي.

جاءت هذه المقالة الصغيرة حصيلة القراءة المباشرة لأشعار الخيام، التي كان فدريكو يملك في مكتبه نسخة من الطبعة الثانية منها باللغة الفشتالية⁽²⁾.

(1) - فدريكو غارثيا لوركا، نثر، / الأعمال الكاملة، المجلد السادس. طبعة ميغل غارثيا بوسادا. مدريد، أكال، 1994، ص 66 - 69. وحول ذلك هناك مقال قصير لـ يان جيبسون: مقال محتمل لوركا عن عمر الخيام فيكوندرنوس هيسبانوأمريكانوس 433 - 436. المجلد الأول ص 37 - 39.

(2) - من رسالة مانول فرنانديث - مونتسينوس غارثيا الجامعية وصف مكتبة فدريكو غارثيا لوركا (لائحة ودراسة) (رسالة الإجازة، جامعة كومبلوتينس. مدريد 13 أيلول 19859 نملك تفاصيل حول نسخة شعر عمر الخيام التي استخدمها لوركا. وتتعلق بالطبعة الثانية للترجمة الفشتالية التي قام بها كارولس موئيو سانت - بانيا، مع مقدمة لـ روبن داريyo ورسوم! لوبيث ناغيل. وقد صدرت هذه الطبعة في مدريد بإشراف فرانسيسكو يلتراي، المكتبة الأسبانية والأجنبية، برينيث 19، وتحمل الورقة الأخيرة تاريخ 1916، ويشير فرنانديث.. كونتسينوس أيضاً في رسالته الجامعية إلى الرباعيات ←

وهي ما تزال موجودة؛ يقيم فريكي مع الشاعر حواراً في الوقت الذي يفسر الموضوعات الرئيسية التي عالجها الشاعر الفارسي (التمتع بالحاضر، اختيار للخمر وللحب كثروتين حقيقيتين من ثروات الوجود الخ)؛ يرى لوركا الخيام وكأنه غارق في وحدة الوجود الدينية ويسميه "خطاء الروحانيات" و"الأرحم"⁽¹⁾ ويقارنه بـ بودلير ويشيد بعظمته وأستقراطيته⁽²⁾.

وبن النظرة إلى الشرق عبر الخيام تجسد مبادئ الغرناطي الأدبية التي تتكشف عنها أول قصيدة كتبها، أغنية، وحلم وتشوش⁽³⁾:

كانت ليلة سحر تامة.

ليلة ذهبية في الشرق القديم،

ليلة قبيل، نور وبدغعة،

ليلة مجسدة من تول عاطفي.

وكان على جسدك ألم وورد.

عيناك كانتا الموت والبحر.

فمك! شفتاك. قافاك، عنقك، ...

حلم نسيج الجزائر ودمشق

كان يُعطر ناحلاً قلبنا.

جدانك كانت تقول لحنًا

المعلمة بقلم لوركا: وينظر بان جيبسون، مقال محتمل عن عمر الخيام للوركا، العمل المذكور ص 38، الترجمات الأولى في المجال الإيبريري كانت لـ بيسن باستور إلى الكتلانية (1907) ومارتينيث سيررا إلى القشتالية (1907).

⁽¹⁾ - تعلقيات على عمر الخيام عند فريكي غارثيا لوركا، الأعمال الكاملة، الجزء السادس، المذكور سابقاً ص. 66 - 69.

⁽²⁾ - المصدر السابق

⁽³⁾ - هنا رأي أخيه فرانشيسكو ثارثيا لوركا في فريكي وعالمه، مدرية أليانثا، 1981، ص 162.

عن نجوم عاطفتك العظيمة⁽¹⁾.

فيديريكو في هذه المحاولات الأدبية الأولى هو أسير نظرية رومانسية متأخرة وروبن داريَّة للشرق رومانسي (بالطبع لم يكن من الممكن أن يكون بطريق آخر، إذ حتى العباقرة العظام عليهم أن يدفعوا ضريبة لمرحلة التعلم، التي تمر بالضرورة بتقليد النماذج السابقة). لكنَّ ما يهمني أن أؤكد عليه هنا هو أنَّ الشاعر يحلم في جذر كتابته بالشرق الإسلامي وأنَّ هذا الشريان سوف يساير كلَّ مسيرته الأدبية التي تبرز في لحظات محددة فقط.

يلوو فيديريكو منذ عام 1922 نظرة أدبية أكثر شخصية للشرق الإسلامي، إلى هذه اللحظة تعود محاضرته (الأولى بين المحاضرات التي ألقاها) المعروفة بـ "الأهمية التاريخية والفنية للغناء الأندلسي البدائي المسمى بـ "الغناء العميق"، وهذا، حسب لوركا، نموذج في غاية الغرابة من الغناء البدائي، الأقدم في أوروبا كلُّها، الذي يحمل في نغماته العاطفة العارية والمقصورة للعروق الشرقية الأولى"⁽²⁾ ويدرك مانويل ديفاينا كمراجع ويستند إليه كي يدعم رأيه.⁽³⁾ بعدها يركِّز اهتمامه على مضمون الكوبلات ويتَّحمس ويستعد للقيام بالمقارنة بين نصوص من الغناء العميق ونصوص من أشعار الغنائي الإسلامي حين يؤكد: أنَّ "جميع قصائد "الغناء العميق" تتطوّي على وحدة وجود رائعة؛ تستشير الهواء والأرض والسماء، القمر والأشياء التي هي ببساطة الريحان والبنفسج والعصفور"⁽⁴⁾ ويعتبر أنَّ الكوبلات حين تدرك أعلى درجاتها "تتأخِّي بالتعبير مع الأشعار الرائعة

⁽¹⁾ - فيديريكو غارثيا لوركا قصائد الشباب غير المنشور. طباعة كريستان بيب، مترجم كاتنرا 1994، رقم 1: أغنية وحلم وتشوش ص. 2 - 27

⁽²⁾ - الأعمال الكاملة المجلد السادس المذكور ص 209.

⁽³⁾ - الموسيقار فايَا، الذي درس المسألة بعمق والذي اشهد به، يؤكد أن لا سيغوريَا الفجرية هي أغنية جماعية "غناء عميق" ويصرَّح بشكل قاطع أنه الغناء الوحيد الذي حافظ على نقاشه في قارتنا، سواء في بنائه كما في أسلوبه، هذه هي الخصائص التي تحمل في ذاتها الغناء البدائي للشعوب الشرقية" (المصدر نفسه).

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه.

للشعراء العرب والفرس" وتلقي في مواضع التضخيم، الحب اللامحدود والخمر⁽¹⁾ ويعطي بعدها أمثلة من شعراء عرب (سراج الوراق وابن رياتي)⁽²⁾ ويضيف أن "هذه الرقة تتجلّى وتلقي في مصادفات ليست غريبة أبداً في غزالت الحب الرفيعة عند حافظ الشيرازي، الشاعر القومي الفارسي الذي تغنى بالخمر والنساء الجميلات والحجارة الغامضة، والليل الأزرق اللانهائي في شيراز⁽³⁾. يقارن فدريكو بين نصوص حافظ الشيرازي ونصوص الغناء العميق، مركزاً على ما يسميه "الهواجس الغنائية" شعر الحبوبة، النحيب، نحيب الدم، الحب فيما وراء الموت.

وينتهي استعراضه للشعراء المسلمين بحبه عمر الخيام، الذي يذكره بمناسبة موضوع الخمر.

طبعاً يتحفظ لوركا تماماً عن القيام بتساقطات دقيقة بين هؤلاء الشعراء وشعر الغناء العميق الشعبي. على العكس كان يصرُ دائماً على أنَّ الأمر يتعلق بــ بتماثلات ومصادفات ويوضح قائلاً: "لقد استخدم الفن منذ أقدم العصور البرقيات دون أسلك ولا مرايا النجوم"⁽⁴⁾.

ليس مستغرباً أن يتواصل لوركا مع الترجمات الفشالية ليؤلاء الشعراء الآسيويين، نظراً لشغفه بالقراءة واحتياكه الغرناتية. لقد روى فدريكو ذلك على الشكل التالي: "لقد شكلت قراءة هذه الأشعار الآسيوية التي ترجمها غاسبار ماريا د نابا والمنشورة في باريس عام 1838 هؤلاء تأثراً عظيماً بالنسبة إلى، لأنها سر عان ما ذكرتني بقصائدنا العميقة جداً"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ المصادر نفسه.

⁽²⁾ إيهَا مختارات من القصائد العربية والفارسية والتركية ترجمت عن الترجمات الإنكليزية عن الأصل ونشرت في باريس عام 1833" (جيبيسون، حياة، وشعر وموت، المصدر المذكور ص 163).

⁽³⁾ إيهَا ص 223.

⁽⁴⁾ المصادر المذكور.

⁽⁵⁾ إيهَا ص. 225.

في مسامرات مقهى رينكونثيو، حيث كان يلتقي الشاعر بمجموعة الشعراء الذين كانوا يريدون أن يجددوا المنتج الثقافي في المدينة، كان هناك متألق متفق مبالغ. باكيتو سوريانو لا برسا، الذي تمنع بمكتبه الغنية جداً جميع المتسامرين. بين هوایات باكيتو سوريانو الأدبية كانت تبرز اللغات والأداب الشرقية؛ ربما علم فديريكو بالكتاب القديم عبر صديقه وبالتالي قبل عام 1922، لكن أحد أعضاء هذه اللقاءات المخلصين كان نابارو باردو، أستاذ كرسي اللغة العربية في غرناطة، الذي لا شك أن وزنه في وضع تعريف لحساسية جديدة تجاه الماضي الإسلامي لمملكة غرناطة كبيرة بين الشباب المتسامرين. كان أعضاء رينكونثيو يتطلعون إلى أن يحلوا نهائياً محل الثقافة الرسمية، التي كانت ما تزال تُنْتَج صوراً مُقوَّلة عن غرناطة الإسلامية، مشبعة بالرومانسية البائنة والمضجرة، وذلك من خلال البحث بجدية أكبر عن الجذور الخاصة، هذا البحث الذي كان يمر بتقويم الميراث الفلكلوري ومعرفة بغرناطة النصرية معرفة أكثر عمقاً وأكثر فيلولوجية⁽¹⁾.

هذا العنصران سوف يصبحان حاسمين في نشاط لوركا الشعري وإن كان

(1) - موجبة من هذه الناحية الرسالة التي كتبها فديريكو في أوائل تموز 1922 لصديق العزيز ملتشور فرنانديث الماغرو الذي كان قد استقر في مالقة: "نجتمع هذه الليلة لتناول العشاء في مطعم أولتيمو جميع أعضاء رينكونثيو [...] الفكرة التي ستعرض هذه الليلة على كل الموجودين في الوليمة (أنا لا أستطيع أن أقاوم) هي التالية: لكن لا تكلم بها أحد حتى تبلور [...] المسألة تتعلق، يا عزيزي ملتشور، بأن ننسئ على أرض يقدمها سوريانو في مزرعته في ثوبينا رباطاً على شرف ابن طفيلي واثنين أو ثلاثة آخرين من عباقرة الثقافة العربية الغرناطية. سيدفعون داخلاً مكتبة موضوعات عربية غرناطية، وسيزرع في الخارج حول النصب صفصاف ونخيل وسرور. يا لسعادة أن ترى، يا ملتشور بيتو، من الباب الملكي القبة البيضاء للرباط ترافقاً منذنة الصغيرة! ثم إنه سيكون النكرو الأولي التي تقام في إسبانيا لحياة لهؤلاء الرجال العظام، إلى ملتشورات فرنانديث الماغرو، غرناطيون الأصلاء، الذين يملؤون اليوم عالم الإسلام، كاد نابارو يبكي ليلاً من ساعته [...] إلى ملتشور فرنانديث الماغرو (5) في رسائل كاملة. أندرو أ. اندرسون وكريستوفر ماورر (ناشرون) مترجم، كتابرا 1997 ص 147 - 150 (148 - 149).

في لحظة معينة: إن تقويم الميراث الفلكلوري سيجد موضوعاً مناسباً في هذه الملحمـة الملـونة بألوان قوس قزح ذات الأصـداء الـكلاسيـكـية، هو أناشـيد الغـجرـ، بينما العمل بمـوضـوع الهـويـة الإـسـلامـية لـغـرـناـطـة سـوفـ يـبـرـزـ في مـراـحلـ مـخـتـلـفةـ، كـبـرـهـانـ علىـ اـهـتمـامـ مـتوـاـصـلـ منـ الشـاعـرـ بـالـمـيرـاثـ التـقـافيـ لـلـمـدـيـنـةـ، منـ الـواـضـحـ أنـ هـذـاـ الـاهـتمـامـ سـوفـ لـنـ يـظـهـرـ إـلـاـ فـيـ مـفـاصـلـ مـعـيـنةـ مـنـ كـتـابـاتـ فـدـريـكـوـ، مـتـبـلـورـ، كـمـاـ قـلـناـ، فـيـ نـصـوصـ مـرـحـلـةـ الشـابـ، كـيـ تـبـلـورـ بـأـنـتـصـارـيـةـ عـامـ 1935ـ مـعـ دـيوـانـ تـامـرـيـتـ.

هـنـاكـ إـذـنـ تـيـارـ أـرـضـيـ لـلنـهـرـ الغـزـيرـ الـذـيـ هوـ شـعـرـ لـورـكـاـ، هـذـاـ التـيـارـ الـذـيـ يـعـذـيـهـ نـبـعـ أـصـولـهـ الـغـرـناـطـيـةـ هـذـاـ، لـكـنـ وـبـيـنـماـ يـدـرـكـ الـمـوـضـوعـ الـغـرـجـيـ مـعـالـمـهـ (ـذـاتـ الـقـيـمةـ الـفـانـقـةـ)ـ فـيـ عـامـ 1928ـ مـعـ أـنـاشـيدـ الغـجرـ وـيـسـتـفـدـ نـفـسـهـ فـيـ هـذـاـ الـدـيـوـانـ⁽¹⁾ـ، فـإـنـ الـمـوـضـوعـ الـآـخـرـ وـكـائـنـ خـيـطـ أـرـيـادـنـاـ، سـوفـ يـرـافـقـ عـمـلـيـاـ كـلـ دـائـرـةـ إـيـدـاعـ الشـاعـرـ، بـمـاـ فـيـ ذـلـكـ بـعـدـ أـنـ نـشـرـ دـيوـانـ تـامـرـيـتـ، قـبـلـ أـشـهـرـ مـنـ اـغـتـيـالـهــ. يـعـودـ لـورـكـاـ لـيـتـكـلـمـ عـنـ ضـيـاعـ غـرـناـطـةـ كـضـيـاعـ لـهـويـةـ لـأـعـوـضـ:ـ كـانـتـ لـحظـةـ فـيـ غـايـةـ السـوءـ:

حتـىـ وـلـوـ قـالـواـ عـكـسـ ذـلـكـ فـيـ المـارـدـسـ لـقـدـ ضـاعـتـ حـضـارـةـ وـضـاعـ شـعـرـ، وـعـلـمـ فـلـكـ وـعـمـارـةـ وـرـقـةـ وـحـيـدةـ فـيـ الـعـالـمـ، كـيـ نـفـسـحـ الـطـرـيـقـ لـمـدـيـنـةـ فـقـيرـةـ، مـذـعـورـةـ، لــأـرـضـ del chavicoـ حيثـ تـحـرـكـ الـآنـ أـسـوـأـ بـرـجـواـزـيـةـ فـيـ أـسـبـانـيـاـ⁽²⁾ـ.

وهـنـاكـ مـنـ يـؤـكـدـ أـنـ هـذـهـ التـصـرـيـحـاتـ الـتـيـ أـدـلـىـ بـهـاـ لـورـكـاـ إـلـىـ صـحـيـفـةـ بـمـكـانـةـ إـلـأـسـولـ كـانـتـ أـحـدـ الـأـسـبـابـ (ـبـيـنـ أـسـبـابـ أـخـرـيـ كـثـيـرـةـ وـشـدـيـدـةـ الـلـبـسـ)ـ الـتـيـ كـانـ لـهـاـ وـزـنـهـاـ سـاعـةـ سـجـنـ وـاـغـتـيـالـ الشـاعـرـ الصـاعـقـ:ـ وـحـسـبـ هـذـاـ التـفـسـيرـ لـمـ تـتـحـمـلـ القـوىـ الـأـكـثـرـ رـجـعـيـةـ فـيـ غـرـناـطـةـ الـكـاثـوـلـيـكـيـةـ عـامـ 1936ـ، هـذـهـ الـمـقـارـنـةـ الـمـسـيـئـةـ لـسـمعـةـ

⁽¹⁾ـ هـنـاكـ تـصـرـيـحـاتـ تـعـبـرـ بـوـضـوحـ عـنـ هـذـهـ الـإـرـادـةـ الـنـهـاـيـةـ لـإـنـهـاءـ هـذـهـ الـمـوـضـوعـ الـذـيـ مـنـحـهـ شـهـرـةـ كـبـيرـةـ.

⁽²⁾ـ مـقـابـلـةـ أـجـراـهـاـ لـوـيـسـ بـاغـارـيـالـ "ـسـولـ 10ـ حـزـيرـانـ 1936ـ".

الحاضر والمحمدة لماضي المدينة الإسلامي.

ما يهمني الآن، ودون أن نتوقف عند هذه المسألة الشاقة والمؤلمة، هو التأكيد على استمرار حضور ما يمكن أن نسميه: "مسألة غرناطة" في عالم الشاعر الذهني وكيف أن هذه المسألة تقود فضول لوركا الفكري نحو الشرق الإسلامي.

عندما عاد لوركا من أمريكا، في عام 1930 وقد بلغ نضجه العجيب، يتقاطع هذان العنصران موفراً الظروف المثالية لإبداع عمل بارع يتوج اهتمام الشاعر الداخلي بالشعر الإسلامي، هذا العمل البارع هو ديوان تامرية.

جزء من النقد يعزى دفق هذه الموجة الشعرية الجديدة إلى قراءته لكتاب قصائد عربية أندلسية، الذي ترجمه المستعرب إميليو غارثيا غوميث ونشره في عام 1930 بالضبط⁽¹⁾. ميغيل غارثيا – بوساد، ناشر أعمال لوركا الرقيق، يؤكّد بقناعة أنَّ "ظهور تصاميم أسلوبية جديدة – يعود – إلى مجموعة الشعر العربي العظيم في الأندلس"⁽²⁾. ماريو هرنانديث يرى عكس هذا، ربما كان أرفع ناشر لأعمال لوركا، والذي يورِّد شهادة فرانثيسكو غارثيا لوركا، الذي يقول بأنَّ أخاه تصور الديوان حتى قبل أن يكتب أيّاً من قصائده، وهذا ما يتفق مع الاهتمام المبكر للشاعر بالموضوع العربي والموريسيكي، ك الخليفة للإنسان الغرناطي" ويذكر أنه "ربما ارتكز مشروع الكتاب في أصله إلى القراءة السابقة على عام 1922 لما سُميَّه "غرِّالات حافظ الرفيعة"⁽³⁾ وإلى عام 1922 تعود أيضاً رسالته إلى ملتصور فرنانديث الماغرو التي يقول فيها أنه في ذلك الصيف ي يريد "أن يخرج من الظل بعض الصغيرات العربيات اللواتي يلعبن في هذه القرى وأضيع في هذه

⁽¹⁾ إميليو غارثيا غوميث قصائد عربية – أندلسية، مدريد بلورتاركو، 1930 ماري لا فرانك.. ص 282، يشير أن كثيراً من هذه الترجمات كان قد نشرها في عام 1928 في ريبستاش أوكتانت (أي مجلة الغرب).

⁽²⁾ طبعة مذكورة ص 83.

⁽³⁾ فيرييكو غارثيا لوركا ديوان تامرية (1931 – 1935) بكلامية على إغناثيو سانتشيز مخنثاس (1934) سونيتات (1924 – 1936) طباعة ومقمية وملحوظات ماريو هرنانديث، مدريد أليانثا، 1989، ص 32.

الغابات الصغيرة الشخصيات المثالبة لأناشيد المجهولة المؤلف⁽¹⁾.

ومع ذلك يبدو أن لوركا بدأ عند عودته من نيويورك وكوبا يكرس وقتاً أكثر لمشروعه. تأخر خمسة أعوام حتى أكمل مجموعة قصائده الأندلسية ويوضع، في أول قراءة لبعض هذه النصوص في برشلونة من عام 1935، عنواناً فرعياً هو "قصائد غرناطة"، وهو تفصيل ذو معنى يدعم ما أقوله. في عام 1934 كان بالإضافة إلى ذلك قد أخبر غارثيا غوميث بتأليفه لكتاب، تماماً كما رواه هذا عندما أشار إلى عشاء في غرناطة مع الشاعر وأصدقاء آخرين بعد قراءة فديريكو لـ يرمما: في الحديث المشحون بالكثيرباء الأدبية، كانت تسمع بشكل متكرر آهات غرناطة الثلاث. وبينما نحن نتكلّم ونتكلّم – كانت تتبعق خلف صورتنا عن المدينة الحالية – كما خلف تلك الصور الهندسية، حيث الطنف الخفية تعلم بخطوط من النقاط – فكرة غرناطة الأخرى، غرناطة الماضي، المنفأة في الفرضية، حيث كان يغني آناس آخرون بلغة أخرى وعلى صوت قيثارات أخرى.

متبادلين الحديث حول مشاريع أدبية كنتُ أقول للوركا أن هدفي هو أن أخصص كتاباً لعربيًّا عظيم – ابن زمرك – الذي نشرت قصائده في أخر طبعة يعرفها العالم: الحمراء ذاتها، حيث تُعطي الجدران وتزيّن القاعات وتحيط بجرن النوافير. عندئذ قال لنا لوركا أنه ألف تكريماً ليولاء الشعراء الغرناطيين القدماء مجموعة من القصائد والغزالت، أي ديواناً، وأنه سيسميه ديوان تامرية، باسم مزرعة تملكها أسرته، حيث كتب الكثير منها⁽²⁾.

يقدم لوركا في هذا الإعلان للأصدقاء خبراً دقيقاً عن هيكل تأليف كتابه، إضافة إلى أنه يوضح العنوان الذي يأتي بالنتيجة تمجيداً لذلك المكان العائلي الأصيل الخاص، بستان تامرية كمكان لإبداع القصائد: قصائد غرناطة مكتوبة في غرناطة الغوطة العميقه، وليس في المدينة، تمجيد هذا المكان الحميم كجو مناسب

⁽¹⁾ إلى ملتصق فرنانث الماغرو (5) العمل المنكور ص 148.

⁽²⁾ إميليو غارثيا غوميث ملاحظ على "ديوان تامرية" عند فديريكو غارثيا لوركا/ديوان تامرية (1931 – 1935) بكتابية على إنجيليو سانتشيز مختاس (1934) الطبعة المنكورة ص 53 – 54.

للإبداع الشعري، لهذا الإبداع الشعري المحدد، المكان المثالى لإعادة إيداع أجناس الشعر العربي الكلاسيكية من منظور معاصر، دون أن يقدم أي شيء للمدرسية العقيدة، للتقليد المحال المتعلق بالأدب؛ هذا الفضاء الأندلسي للحزام الثري لغرناطة هو *Iocus amoenus* الذي يرشح روحًا أندلسية يحضن الشاعر ويقدم إليه السكن التام، حيث يقوم بالتحويل الاستثنائي الرائع للشعر الغنائي الأسباني – العربي إلى واحد من معالم الشعر الأسباني الحديث.

وهكذا فإنه إذا كانت وجهة نظر غارثيا – بوسادا *condivisible* حين يؤكد أنه "من العبث أن نحاول أن نعزز هذا الاستشراق في ديوان تامرية إلى تأثيرات بسيطة؛ يبدو من المناسب أكثر أن نفكر بالتوافقات، نتاج، وهذا صحيح، التعقيد العالي لخيال لوركا"⁽¹⁾، ومن ناحية أخرى من المناسب أن نكون حذرين من النزعه النقدية الأسبانية لوركا لتحجيم أبعاد هذه التوافقات.

هناك إرادة عند الشاعر لتفوييم هذا الجذر الشرقي في كتابه الذي يظهر بوضوح في عنوانه: ديوان وفي تقسيم القصائد بين جنسين شعريين عربيين مشهورين: القصيدة والغزلة؛ طبعاً ما كان لوركا لينظم قصائد وغزالت مكتفياً إياها مع متطلبات الوزن الذي يملكه هذا النوع من النظم في الشعر الغنائي العربي؛ لكن حتى الدارسين لوركا في هذا الجو ليس أمامهم من مجال غير أن يعترفوا أنه يولي اهتماماً خاصاً لأبعد الغزالت، ربماأخذًا بالاعتبار تعريف غارثيا غوميث المقتنص لـ "الغزلة" – المستخدمة بشكل أساسي في الشعر الغنائي الفارسي – هي قصائد قصيرة، موضوعها النسيب، وتتفق مع بعض القواعد الفنية، وأبياتها أكثر من أربعة وأقل من خمسة عشر بيتاً⁽²⁾. يبدو أن الجميع متتفقون على أن لوركا قسم الديوان إلى قصائد وغزالت منتبهاً إلى المواضيع: الغزالت ذات مضمون غرامي والقصائد متعددة الاستلهام باستثناء

١

⁽¹⁾ – ميغيل غارثيا سبوسادا، الطبعة المذكورة ص 86.

⁽²⁾ – أميليو غارثيا غوميث ملاحظة على "ديوان تامرية" عند فريكيو غارثيا لوركا، ديوان تامرية (1931 – 1935، الطبعة المذكورة ص 54).

موضوع الحب.

أشارت ماري لافرانك أيضاً إلى الإيقاع البطيء في نصوص الديوان كباردة واعية لاستعادة حركة الشعر الغنائي العربي المميزة وماريو هرنانديث، في تعليقه الشري على الكتاب كثيراً ما يشير إلى هذه الحركة البطيئة.

لكن التحول يتم في مجالات أخرى، في المواد التي تكون جو الصورة أو في استخدام الكثير جداً للصورة الشعرية والتي كثيراً ما تغطي أبياتاً بكمالها... وخاصة في خلق جو وفضاء رمزي ذي نطاق ضيق جداً وكوكبي في آن معاً.

يدور أحياناً هذا الذي نسميه "تصادف الروح شعري"⁽¹⁾ حول Sema التي تشكل مركز المقطوعة التي يصب فيه كل شيء، كما في غزلة الحضور الرهيب:

أريد للماء أن يبقى بلا مجرى.

أريد للريح أن تبقى بلا وبيان.

أريد للليل أن يبقى بلا عيون

وقلبي بلا زهرة الذهب.

أن تتكلّم الشiran مع الأوراق الكبيرة

وأن تموت الدودة في الظل.

أن تلمع أسنان الجمجمة

والأخضر يغمر الحرير.

يمكنني أن أصير ألم الليل الجريح

متعاركة بالتحام مع الظهيرة.

أقاوم غروباً سمه أخضر

والأقواس المحطمّة حيث يعاتي الزمن.

لكن لا تُرني عريك النظيف

⁽¹⁾ — العبارة لـ غارثيا — بوسادا، الطبعة المنكورة ص 88.

مثل صبار أسود مفتوح بين الخيزران.

دعيني في حزن كواكب غامضة

لكن لا تُرِيني خصرك المياس!

"الخصر المياس" الأخير هو محور بناء كل المقطوعة الحقيقى. إنه مرادف للقصصىل، جزء من جسد الحببية الذى تبنى حوله عدة قصائد عربية - أندلسية مضمونة في مختارات غارثيا غوميث، مثل قصيدة المعتمد مالك إشبيليا (1069 - 1091م):

وليل بسْدَ النهر أنساً قطعه
بذاتِ سوارٍ مثل منعطف النهر

نضت بردها عن غصن بان مُنْعَمٌ
فيَ حُسن من شقِّ الكمام عن الزهر

يجمع الخصر أيضاً نظرة الحبيب في بداية هذه القصيدة الأخرى للأمير الأموي مروان بن عبد الرحمن الطليق" المعفو عنه (المتوفى في عام 1009م):

غُصَّنْ يهتَزُّ فِي دِعْصِ نَقاً
يَجْتَنِي مِنْهُ فَوَادِي حَرْقاً

أو أبيات قصيدة حببية الفقيه القرطبي أبو حفص ابن عمر، قاضي قرطبة وإشبيليا في عصر الموحدين:

وَأَذْكُرْ قَدَّهَا فَأَنْوَحْ وَجْدًا
عَلَى الْأَغْصَانِ تَنَدَّبُ الْحَمَامُ

لكن عند منتصف القصيدة التي يعنونها غارثيا غوميث باسم قصيدة النجوم لابن هاني البرى (المتوفى في عام 973) رقم (38) نقع على الكلمة الدقيقة التي ينظم حولها لوركا غزالته مستعيناً بأبهة ما يمكننا أن نسميه "جمالية المقطع":

أَلْيَلْتَنَا إِذَا أَرْسَلْتَ وَارِدًا وَحْفًا
وَبَتَنَا نَرِى الْجُوزَاءِ فِي أَذْنَاهَا شَنْفًا

وَبَاتَ لَنَا سَاقِ يَقْوِمُ عَلَى الدُّجَّاجِ
سَى بِلَشْمَعَةِ نَجْمٍ لَا تَقْطَطُ وَلَا تُطْفَى

أَغْنَ غَضِيرَنْ خَفَّ اللَّيْنَ قَدَّهَا
وَثَقَّتَ الصَّهَباءُ أَجْفَانَهُ الْوَطْفَا

وَلَمْ يُبَقِّ إِرْعَاشُ الْمَدَامَ لَهُ يَدَا
وَلَمْ يُبَقِّ إِرْعَاشُ الْمَدَامَ لَهُ يَدَا

أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
وقدت لنا الظلماء من جلدنا لحفا
ومن شفةٍ توحى إلى شفة رشفا
فقد نبَّه الإبريق من بعد ما أغفا
وقد قام جيشُ الفجر للليل واصطفَا
خواتيم تبدو في بنانِ يدٍ تخفي.

يقولون حفَّ فوقه خيزرانة
جعلنا حشائياً ثياب مدامنا
فمن كيدِ تذني إلى كيدِ هوى
بعيشكَ نبَّه كاسنه وجفونَه
وقد ولَّت الظلماء تقو نجومها
وللت نجوم للثريا كأنها

هذا ليست المفردة القاموسية بل العلامة السمعية مماثلة لوركا: هذا الخصر الذي يشكل محور كل التغنى بجمال الساقى الذى يرافق الزوجين العاشقين يلخص كل ملاحة الفتى، الذى لا يمكن في النهاية أن يقاوم بالنسبة للشاعر الحديث في قصيدة الحضور الرهيب.

وإذا ما أضفنا إلى كل هذا وجود أسباب أخرى (الماء المتحرك) ووجود كونية ليلية جباره (صراع بين الليل والفجر، انتصار الغروب، تشبيه الليل الذى يملك عيوناً عند لوركا وأذنين عند ابن هاني) نبدأ نرى كيف يجب أن نفهم تلك التقطيعات التي يتكلّم عنها غارثيا - بوسادا، هذه التقطيعات التي يصعب تفسيرها إذا لم يؤخذ بالحسبان عمل مكون مواد قراءات جديدة وقديمة المنضمة بوعي إلى العملية الإبداعية. "اليد المختبئة" (يد تخفى) التي تختَم قصيدة ابن هاني البريغا الغاية في الجمال (البليرة، المدينة المتاخمة لغرناطة بالمناسبة) لها علاقة كبيرة بتلك اليد السماوية الأخرى التي يخصها لوركا بـ "قصيدة اليد المحالة":

أنا لا أريد إلا يداً واحدة،
يدًا جريحة إن أمكن.
أنا لا أريد إلا يداً واحدة،
حتى ولو قضيت ألف ليلة دون فراش.
ستكون زنبقة شاحبة من كلسٍ

ستكون حمامه موئلاً إلى قلبي،
الحارس الذي سيمنع
في ليل عبوري الدخول إلى القمر منعاً باتاً.
أنا لا أريد إلا هذه اليد
للزرت اليومي وملحقة احتضاري البيضاء.
أنا لا أريد إلا هذه اليد
كى يكون لي جناح لموسى.
كل ما عداه يمر،
ما عداه خفر بلا اسم، نجم سرمديٌّ
ما عداه الآخر، ريح حزينة،
بينما الأوراق تهرب أسراباً⁽¹⁾.

يستخدم لوركا بشكل خاص تركيبات مصدرها هذه المواد وعامة ما يصب
فيها المعنى الذي كانت تملكه في الشعر العربي – الأندلسي، يمجّد هذا التراث
بالعودة إلى استخدام مفردات لها مجال رمزي مماثل للذى كان لها، وبهجرها
وسط عالم جديد، يمنعها من الاستمرار بالقيام بوظيفتها كما في السابق. إنه لا
ينكر قيمة تلك المناخات، لكنه عندما يربطها بمناخات أخرى (كثيرة) جديدة،
يطفّلها:

غزاله الحب القاطط.
لا الليل يبعي أن يأتي

(1) – في مدح المعتمد ملك إشبيليا لـ ابن عمار الشلبي رقم 13) هناك تصوير لليد دون جسد:

صنف أطل على رداء أحضرها
سيف ابن عبد يبتد عسكرا

روض كان النهر فيه معصم
وتهز ريح الصبا فتخاله

كي تأتى أنت،
 ولا أنا أستطيع الذهاب.
 لكنني سأذهب
 حتى ولو أكلت شمس العقارب صداعي.
 لكنك ستأتين أنت
 محروقة اللسان بمطر الملح
 لا النهار يريد أن يأتي
 كي تأتى أنت،
 ولا أنا أستطيع الذهاب.
 لكنني سأذهب
 وأسلم فرنفلتي المعرضة للضفادع.
 لكنك ستأتين
 عبر بواليعظلمة العكرة.
 لا الليل يريد أن يأتي ولا النهار
 كي أموت لأجلك
 وتموتى لأجلى.

هذا التركيب الموازي التام⁽¹⁾ يفتت موضوع اللقاء الليلي للحبيبين، الذي
 تعالجه القصيدة التي تحمل عنوان زيارة الحبيبة لابن حزم القرطبي (994 –
 1064) رقم (23) بهذا الشكل:
 قبيل فرع النصارى للتواقيس
 وأخص الرجل في لطف وتفويض
 أتيتني وهلال الجو مطلع
 حاجب الشيخ عم الشيب أكثره

⁽¹⁾ – العبارة لميفل غارثيا – بوسادا. الطبعة المنكورة ص ???

من كل لون كاذناب الطواويس ولاح في الأفق فوس الله مكتسيأ موضوع الزيارة الذي يميل إلى السلبية في هذا المقطع من القصيدة التونية لابن زيدون القرطبي: أضحي الثنائي بدليلاً من تدانيا بنتم وبينما ابتلت جوانحنا حالت لفقدكم أيامنا فغدت كائننا لم نبت والوصل ثالثنا سرإن في خاطر الظلماء يكتننا	وناب عن طيب لقيناتا تجافينا شوفا إليكم ولا جفت ماقيينا سودا، وكاتت بكم بيضاً لياليينا والسعـ قد غصـ من أجفانـ واشينـا حتى يكاد لسانـ الصبح يُفسـينـا
---	--

يفجر لوركا طاقة وقوة هذا التجافي الناتج الآن عن عوامل كونية (الموجودة أيضاً في قصيدة ابن زيدون) والتي تنتهي بأن تقود إلى موت الحبيبين. لكن تعدد الأسباب – الموانع أمام لقاء هذين (الموزعة بشكل جيد جداً عبر نظام التوازي) ينتهي بالعودة إلى عرض موضوع الزيارة من جديد، العدو اللدود للحبيبين/الموجود في مقطع ابن زيدون العظيم مسألة الموضوع الذي يضعه بشكل ضيق جداً لوركا في غزalte المرتبط بموضوع زيارة الحبيبة يسيطر أيضاً على القصيدة التي تحمل عنوان عتاب (رقم 19) للخليفة عبد الرحمن الخامس المستنصر (المتوفى عام 1024):

مَذْتَلِعَتْ بِصَدِّي	طَالْ عَمْرُ الْلَّيْلِ عَنِي
ذَوْلَمْ يَسْوَفْ بِعَهْدِ	يَا غَزَّالْ أَنْقَضَ الْوَ
نَبَاعْلَى مَفْرَشْ وَرَدِ	أَنْسَيْتَ الْعَهْدَ إِذْ بَتْ
ذَهْبَافْلَى لَازُورْدِ	وَنْجَوْمُ الْلَّيْلِ تَحْكَمِي

وإلغاء الزمن ("لا النهار ولا الليل يريد أن يأتي") في الغزالة اللوركية التي تنتهي بتأليف الموت المفهوم على أنه حضور يشغل نفي الزمن والحركة، العناصر

التي تسيطر بالمقابل على كل القصائد العربية — الأندلسية.
إن الترصد أو الحضور الخانق للموت يخترق الديوان اللوركي بقوّة تقلب
معنى رموز الحياة، كالماء، الحاضر بمجال معنوي واسع سواء في الشعر الغنائي
العربي — الأندلسي أو عند لوركا. لنرى كمثل غزالة الطفل الميت:

كل مساعٍ في غرناطة،
كل مساعٍ يموت طفل
كل مساعٍ يجلس الماء
ليتسامر مع أصدقائه.

للموسي أجنهة من طحالب،
الريح الغائمة والريح الصافية
ديكان برّيان تحلقان في الأبراج
والنهار فتى جريح.

لم يبق في الهواء نسمة من قبرات
حين التقى في كهوف النبيذ.
لم يبق في الهواء فتات من غيمة
حين كنت تغرين في النهر
علق من ماء سقط فوق الجبل
فراح الوادي يتدرج بكلابه وزنابقه.

جسمك وظل يدي النفسجيّين، ميت على الضفة، ملاك برد.

غرناطة مدينة المياه شارك في حداد الأطفال الذين فقدوا صديقهم، وشارك
بفضل الحديث الذي أجراه الماء معهم، الماء القاتل حين يحضر كعاصفة.

والعاصفة (27) هو عنوان هذه القصيدة القصيرة لابن شهيد القرطبي (992

— (1034) —

فحبلىن أخلف الغمام

أما الرياح بجو عاصم

...

فأسالها والسنور نائم

شهر الحيا برياضها

كالفريد باللجم العوائم

حتى غدت زهراتها

الخ

الماء النافع وليس المدمر كما في نص لوركا، الذي ينتصر على ملذات الحياة الأخرى في قصيدة وادي المرية (46) لابن سفر الاميري (القرن الثاني عشر)، حين تتجه القصيدة إلى صديق وتسأله وتتوقف عند تمجيد النهر: ?????؟

لست عن ذكره الجميل أحوال (ابن جابر)

ذكر الله بالمرية عيشاً

أشهى وروداً من لمى الحساناء

له نهر سال في بطحاء

والزهر يكنفه مجر سماء (ابن خفاجة)

متعطف مثل السوار كأنه

?????

الماء في حديث الحب مع أشجار الضفة التي يحتفي بها لوركا والمهددة بنذير الموت في قصيدة الأفنان:

إلى أجياد التمرير

جاءت كلاب من رصاص

تنتظر سقوط الأغصان،

تكسرها وحدها.

في التمرير شجرة تفاح

عليها تفاحة من نشيج،

بلبل يطفئ الأهات

وديك بري يطاردها في الغبار.
لكن الأغصان سعيدة،
الأغصان مثلنا.
لا تفك بالمطر ونامت،
كما لو صارت فجأة أشجاراً.
واديان جالسان في الماء حتى الركب
ينتظران الخريف.
ظل يدفع الأغصان والجدوع
بخطوات قيل.
في أجمات التمريرت
حشد من أطفال وجههم محظوظة
ينتظرون سقوط الأغصان،
تكسرها وحدها.

وينتصر هذيان الماء في قصيدة الجريح بالماء، حيث يتمتع الشاعر، الحيوي،
النشيط الممسوس بقوة جامحة - مذعوراً - بسحر الماء المسؤول⁽¹⁾:
قصيدة المجروح بالماء
أريد أن أنزل إلى البئر،
أريد أن أصعد أسوار غرنطة
كي أنظر إلى القلب

⁽¹⁾ - أميليو غارثيا غوميث ملاحظة على "ديوان تامريرت" عند فدريليكو غارثيا لوركا، ديوان تامريرت (1913 - 1935) الطبعة المنكورة ص 57.

يخترقه ميخاز الماء الغامض.
كان الطفل الجريح ينْ
بناج من صفيح.
مستنقعات، وجباب وينابيع
ترفع للهواء سيفها.

آه، كم هو حنق الحب وجارخ الحد،
يا له من همسٍ ليلي، وموتٍ أبيض!
يا لها من صحاري نورٍ تمضي غائصة
في رمال الفجر!

كان الطفل وحيداً والمدينة نائمة في الخنجرة.
فواحة تأتي من الأحلام

تحميء من جوع الطحالب.
الطفل والاحتضار وجهها لوجه،
كانتا مطرين خضراوين متداخلين.

الطفل يتمدد على الأرض
واحتضاره يتقوسُ.

أريد أن أنزل إلى البر،
أن أموت ميتني على دفعات،
أريد أن أملأ قلبي بالطحالب،
كم أرى المجروح بالماء.

مياه غرناطة النصرية، التي ما تزال قادرة على الفعل. المياه التي تجرح
ونقتل بسلاح أبيض، بالمخازن والسيوف. مياه تجر الشاعر إلى الموت المفهوم
كتأمل ومعرفة غرامية ("انظروا وروا الجريح بالماء") لكن المدينة الغافية في

حنجرة الطفل تخبيء هذه "النافورة القادمة من الأحلام" التي ستغتصبه من التفكك. الدقة العمودية للماء المخترعة من الإنسان لمتعته، الدفق الذي يسيطر ويسود ألعاب الماء في قصور العرب في غرناطة، الدقة — الرمز للحضارة الأندلسية⁽¹⁾، يحتفظ الآن بجسد الطفل من الأشنیات الملهمة، يحتفظ بالشكل المتافق للجسد الفتى.

وإذا كانت الأسلحة في المختارات الأندلسية تلجم الماء ("...")⁽²⁾ فإنها تتبع منه الآن مقوية القدرة التدميرية لسيوف ابن عباد الذي يتحول إليها النهر في مدح المعتمد.

تمجيد الماء الذي يتوج فكرة لوركا ولدت عام 1922، حيث يبدو أن العمل الشعري على موضوع الماء يظهر متجلزاً مع الشرق، كما يستنتاج من رسالة من ملتشور فرنانديث الماغرو إلى صديقه:

"أشعر بنفسي في هذه الأيام محترأ. رأيت كتاباً مدهشاً مازال قيد التأليف وأود أن أؤلفه أنا: "أنها تأملات وصور الماء المجازية". ما الروائع العميقة واللحية التي يمكن أن تقال عن الماء! قصيدة الماء التي يحتوي عليها كتابي افتتحت في الروح. أرى قصيدة عظيمة بين الشرقية وال المسيحية — الأوروبية، للماء؛ قصيدة يغنى فيها بأبيات رحبة أو ينثر مسروق من الحياة المتأججة وشهداء الماء؛ قصيدة حياة الماء، مع تحليل متأنٍ جداً للدائرة المتمرضة، للانعكاس، للموسيقى التملة وغير المختلطة بالصمت الذي تحده التيارات. النهر والسوافي لفتني [...] أود لو يمنعني الله ما يكفي من القوة والفرح. آه، نعم الفرح! كي أكتب هذا الكتاب الذي يتجلّى لي جلياً، كتاب التقوى هذا للذين يسافرون في الصحراء [...]"⁽³⁾

(1) — وكما تبرهن مقطوعة النافورة للشاعر الإثيولي ابن رجا (القرن الثالث عشر)
(رقم 10)

(2) — مهرجان في النهر (رقم 12) لقاضي شيرش ابن لوبيال (المتوفى عام 1284)

(3) — إلى ملتشور فرنانديث الماغرو (7) في رسائل كاملة. أندرو. أ. اندرسون وكريستوفر سورر (تاشرتون) مدريد، كاتالا 1977 ص. 154 — 155 — 156.

وكفصول متفرقة من هذا الكتاب الذي لم يكتب قط، لكنه مفتوح في روحه ستولد قصائد محددة؛ يعمل الشاعر في بعضها مفجراً طاقة الماء المدمرة، مثل القصيدة التي رأيناها توأماً أو هذه النهاية من النشيد المسرن (.....) أو في الطفلة الغارقة في النهر من شاعر في نيويورك، والماء في أخرى يتخذ تشكيلات متعددة، كما في معركة الأنهر الثلاثة التي تفتح قصيدة الغناء العميق (1921) أو في مقطوعات باريس، ارتعاش التي تعود لسويت الماء (1923).

لكن ما يهمني أن أبرزه من هذه المسارة من لوركا إلى صديقه ملنثورينتو (كثيراً ما ينادي بهذا الشكل في رسائله) هو أن لوركا يرى في الماء العنصر الموحد لتراثين مختلفين، الموضوع قادر على أن يوحد في قصيدة واحدة بين الشرق وأوروبا. إن الحضور المتواصل للماء في ديوان تاميريت يدعو للتفكير بأن لوركا يستعيد في هذا الكتاب فكرته القديمة وبحقها، يكمل ذلك المشروع، فالتكوين الجغرافي والتاريخي – التقافي للمدينة يقدم أشكالاً من حياة الماضي لا تحصى، يستعيدها ويخلق بعده سائلاً على امتداد الكتاب (من 21 قصيدة هناك عشرة تتغذى من أسباب مائية أو مكرسة للماء).

أخيراً يمكن أن يكفي ما قلناه كي نحدس قليلاً كيف يفهم لوركا استلهامه للتراث العربي – الأندلسي. أعتقد أننا نستطيع أن نستخلص مما رحنا نراه وكما قلت في بداية هذه الدردشة، أن لوركا يتصرف من خلال الأحلام. إذا كان غونغورا برأيه يضع الأساطير على جانبها، فإنه في ديوان تاميريت وضع أسطورة غرناطة على جانبها، باحثاً عن أفق روحي للمدينة خزنت فيها الحساسية النصرية (هذه الحساسية التي أشار إليها الشاعر في مقابلته مع إل سول) مواد وربت نظرة الرسام. من هذا الواقع الأسطوري للمدينة يأخذ فريكيو رموزاً كثيراً جداً (ناقوس لا بلا⁽¹⁾، باب الخمر، هيمنة الماء، اللبلاب، ديكه الريح، الصباريات) بينما رموز أخرى (بعضها رحنا نعثر عليه) مصدرها قراءاته الشعرية أو النقدية، تجربته كطالب أداب (ولغة عربية) في غرناطة، من عشه الموقعة بغرناطة ومحيطها،

(1) — ????

بهذه وتلك تشكل عناصر التراث الإسلامي وكما يلتقاها الشاعر تساهم في نظامه الشعري، النظام الذي يشكل كلاً أصيلاً وذاتياً تماماً. في هذا النظام اللوركي الجديد يكُف لوركا العناصر القادمة من ذلك التراث ويعندها حياة وهي تشكّل الآن جزءاً من عالم حيث البحث غير المنقطع عن الحب يظهر باستمرار مهدداً بترصد أو حضور الموت.

□□□

Foreign Literature Quarterly, No 119,
Summer 2004, Twenty ninth Year.

Contents

- 1- - Editorial "From Cardoba" to "Buenos Aires" by Editor in chief Dr. Bouthaina Shaaban.
- 2- - American- Iberian Literature of Arabic origin, by Rifat Atfeh.
- 3- - EL Otro Holocausto, by Nur Salem Abu Janjar, tr. By Mai Rifat Atfeh.
- 4- - Cubic Arabian poet Fayyad Khamis, tr. By Rifat Atfeh.
- 5- - Nahima, La Larga historia de mi madre, by Edith Chahin, tr. By Rifat Atfeh.
- 6- - Antología poética del poeta chileno. Mahfud Massis, tr. By Baha' AL - Bunni.
- 7- - Antología Poética de Teodoro El 'Saca Aboid, tr. By Rifat Atfeh.

-
- 8- -Antologia Poética de Farid Idd Nassar, tr. By Rifat Atfeh.
 - 9- -Labor arcáica, by Raduan Nassar, tr. By Ali Ibrahim Ashkar.
 - 10- -Antologia Poética de Matias Rafide, tr. By Ali Ibrahim Ashkar.
 - 11- -Lorca poeta y el mundo arabigo- andaluz, by Encarnacion Sánchez., tr. By Rifat Atfeh



الآداب الأجنبية، العدد 119، صيف 2004

السنة التاسعة والعشرون

المحتويات:

ر.م	العنوان	اسم الكاتب	اسم المترجم	ص
1.	من كراتبا إلى بونس آيرس	د. بشارة شعبان		7
2.	الأدب الأمريكي الابري من أصل عربي	رفعت عطفة		11
3.	أنجلوكروست الآخر	نور صالح أبو خنجر	مي رفعت عطفة	13
4.	فياض حميس - الشاعر الكوري العربي الذي يقى شاعراً	فياض حميس	رفعت عطفة	73
5.	نعمية؛ قصة أمي الطويلة	إديث شاهين	رفعت عطفة	86
6.	محنارات من شعر محفوض مسيس	محفوض مسيس	هاء البني	101
7.	محنارات من شعر تيودور السقا أبو عبد	تيودور السقا أبو عبد	رفعت عطفة	108
8.	محنارات من شعر فريد عبد نصار	فريد عبد نصار	رفعت عطفة	111

د.م	اسم المترجم	اسم الكاتب	العنوان	د.م
129	علي إبراهيم أشقر	رضوان نصار	عمل متهافت	.9.
130	علي إبراهيم أشقر	ماتياس رفيدة	من شعر ماتياس رفيدة بعمارسة	.10
137	رفعت عطفة	إنكارناث يون سانتشت	لوركا الشاعر والعالم العربي الأندلسي	.11

□□□

AL - ADAB AL - AJNABIYYA

(Foreign Literature Quarterly)

NO. 119

